جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الحكاية التراثية العربية وتشكلها في إطار ثنائية الحياة والموت

دراسة تحليلية لأنموذج حكائي تراثي

من مرويات كتاب مقالات الأدباء لابن هذيل

الدكتور

عبدالعزيز بن سعود بن عبدالعزيز الحليبي

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة الملك فيصل - المملكة العربية السعودية

العدد الرابع والعشرون

للعام ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

الجزء الرابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

الحكاية التراثية العربية وتشكلها في إطار ثنائية الحياة والموت دراسة تحليلية لأنموذج حكائي تراثي من مرويات كتاب مقالات الأدباء لابن هذيل

عبدالعزيز بن سعود بن عبدالعزيز الحليبي

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة الملك فيصل ـ المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني: a.azizholaibi@gmail.com

الملخص

تقدم هذه الدراسة رؤية ومقاربة نقدية تحاول من خلالها الكشف عن بعض جماليات ومدلولات السرد الحكائي التراثي العربي، في إطار تجاذب سياقاته مع الثنائيات الضدية، وبالتحديد الثنائية الأم (الحياة/الموت)، وذلك من خلال مبحثين هما: المبحث الأول: الحكاية التراثية وتشكلها في إطار الثنائيات. (ثنائية الحياة والموت أنموذجًا)، والمبحث الثاني:دراسة تحليلية لأنموذج حكائي تراثي من مرويات ابن هذيل.

حيث رصدت الدراسة في مبحثها الأول إسهام الحكاية التراثية العربية في تشكيل الصورة الذهنية للمجتمع العربي القديم، وما انطوت عليه من مضامين معرفية غنية بالتجارب، وما خاضته الحكاية التراثية في مراحل تناسلها وتواردها على الألسنة عبر التاريخ من تحديات بسبب طابعها الشفاهي، وما ترتب على ذلك من تداعيات، ومخاض نقدي جعلها محط أنظار المناهج النقدية الحديثة، ثم رصدت الدراسة (الحكاية) في مفهومها السردي؛ فتم تعريفها وتأطيرها من خلاله، وبيان عناصرها في ضوء طبيعتها التراثية، وتسليط الضوء على تشكلها السردي في فلك الثنائيات الضدية ذات التأثير العالي في فضاءاتها، وقراءة تمحورها بشكل خاص حول ثنائية (الحياة/والموت)، وانعكاس ذلك على مدلولاتها المعرفية والقيمية.

وفي المبحث الثاني قدمت الدراسة تحليلا نقديًّا لحكاية تراثية من مرويات ابن هذيل في كتابه مقالات الأدباء ومناظرات النجباء، تناولت فيه وحدات الحكاية بعد تقسيمها إلى جزءين، بتحليل شخصياتها، وأحداثها الكبرى والصغرى، ومستويات الحوار فيها، وفضاءاتها الزمانية والمكانية، وتشخيص علائق هذه العناصر، واستنتاج الإشارات الحضارية فيها، ورصد حضور التناص في سياقاتها، وتشكل الثنائيات في محور ثنائيتها الأم.

الكلمات المفتاحية: الحكاية ، ثنائية ، الحياة ، الموت .

The Arab Heritage Narrative and its Formation within the Framework of Life and Death Binary "An Analytical Study of a Heritage Narrative Model from Ibn Huzail's book "Writers' Essays

Abdulaziz Bin Saud Bin Abdulaziz Alhelaibi
Assistant Professor, Department of Arabic in the College of Arts at the University of King Faisal - Kingdom of Saudi Arabia
Email: a.azizholaibi@gmail.com

Abstract

This study provides a critical vision and approach through which it tries to reveal some of the aesthetics and implications of the Arab heritage narrative, and its contextualism with the binary opposition, specifically (life / death) binary, through two topics:

The first topic: The heritage narrative and its formation within the framework of binaries. (A bi-life and death model).

The second topic: An analytical study of a heritage narrative model from Ibn Huzail's narratives.

Regarding the first topic, the study highlighted the contribution of the Arab heritage story in shaping the image of the ancient Arab society with its knowledge implications rich in experiences. In addition, it touched on the challenges that the heritage narrative experienced during its reproductive stages and its transmission over the tongues throughout history due to its oral nature, and the consequent critical works that made it the focus of modern critical approaches.

Then the study monitored 'the narrative'' concept. It was defined, and its elements were explained in light of its heritage nature that highlight its narrative formation within the framework of high-impact binary opposition especially through life and death model, and the reflection of this on its cognitive and value connotations.

In the second topic, the study provided a critical analysis of a heritage narrative from Ibn Huzail's book the Writers' Essays and the Superb's Debates. Moreover,The elements of narrative were divided into two parts by analyzing the narrative's main and secondary characters, its events, dialogue, setting, the interrelationships of these elements with their cultural implications, and the presence of intertextuality, and binary opposition within the main bi-life and death model.

Keywords: Narrative- Binary- Life- Death

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ما تزال الحكايات العربية التراثية واحة خصبة لدراسة سياقها الفني السردي، واكتشاف مكنوناته، ففي أكنافها تجد الدراسات العربية الأدبية الحديثة ما يسهم في تأصيل وتطوير الرؤية النقدية العربية، وبخاصة ما يتعلق بتراثنا الأدبي العربي، ودرسه النقدي القديم، وفي هذا الإطار الثري تتناول هذه الدراسة تشكل الحكاية العربية التراثية الأصيلة، وتأطرها في محور كوني إنساني، وثنائية ضدية تمثل للبشر أعمق ثنائية يكابدها رجاءً، وأملًا، وقلقًا، وخوفًا، وهي ثنائية الحياة والموت، والتي كانت حاضرة في مسارب النص العربي الإبداعي بكل أجناسه منذ بدايات البوح به، ذلك أن الإنسان العربي كغيره من البشر يمارس بإنسانيته معايشة هذه الثنائية الكونية، إلا أن تعاطيه معها كان مختلفًا باختلاف رؤيته، وطبيعة بيئته، والأهم من ذلك كله نظرته للبقاء في ظل قيمه وعاداته التي نشأ عليها.

وتتشكل هذه الدراسة من خلال مقاربات مستلهمة من بعض الرؤى والمناهج النقدية الحديثة، وفي ضوء أدوات إجرائية تحليلية، مع الأخذ بخصوصية النص الذي تم اختياره من مرويات ابن هذيل في كتابه مقالات الأدباء ومناظرات النجباء، وانسجامه مع ظروف عصره الذي تخلّق فيه، وعمقه الشفاهي، ولغة راويه، وطبيعة شخوصه، وفضاءاته الزمانية والمكانية، ويبدو للمتتبع ملاحظة انشغال الباحثين برصد العلاقات البنائية في الحكايات التراثية، والاهتمام بتتبع تشكل الحكاية وتكوينها في فلك ما

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يعرف بالحكاية الإطارية، والكشف عن ملامح التشابه السردي في رواياتها المتعددة، غير أن مما يجب أن ينال حظه من العناية والتحليل تلك الدلالات المكنونة وراء الثنائيات في حكايات التراث، وما تكتنزه من قيم، إلى جانب استخراج جمالياتها الفنية من مدلولات وحداتها السردية، وإطاراتها الفنية، وفضاءاتها الزمانية والمكانية، وذلك على نحو ما نجده من دراسات في ثنائيات الشعر العربي القديم والحديث، مع مراعاة اختلاف الجنسين الأدبيين، ومعطياتهما الفنية.

وفي هذا السياق البحثي تأتي هذه الدراسة متناولة مبحثين؛ هما:

المبحث الأول: الحكاية التراثية وتشكلها في إطار الثنائيات. (ثنائية الحياة والموت أنموذجًا).

المبحث الثاني: دراسة تحليلية لأنموذج حكائي تراثي من مرويات ابن هذيل.

ويلي ذلك **خاتمة** بأبرز النتائج، ثم مسرد المصادر والمراجع، فأسأل الله تعالى السداد في القول والعمل.

المبحث الأول:

الحكاية التراثية العربية، وتشكلها في إطار الثنائيات

(ثنائية الحياة والموت أنموذجاً):

أسهمت الحكاية التراثية العربية إسهامًا عميقًا في بناء الصورة الذهنية للمجتمع العربي القديم في إطار ما تم توارثه مما يعرف بالأدب الحكائي الشعبي، حيث يعد هذا الأدب أحد أهم منابع المعرفة والتاريخ الإنساني؛ لكونه الراصد التوثيقي لكل مظاهر الحياة البشرية، والصورة المنعكسة عن علاقاتها، وطبائعها، وتفاعلها بمحيطها، وبالتالي ((ظل السرد العربي قابلا للتنوع وللتعدد، ولمواجهة المناخات المختلفة التي أحاطت به، وظل مستعدا لقبول الاحتمالات والاستبدالات، نظرًا لطبيعة المتغيرات السردية، وانفتح على مبادئ المثاقفة السردية؛ ليعكس وعي الجماعة، وتنوع الخيوط التي شكلت نسيجها الحضاري بمختلف الأجناس البشرية التي انضوت تحت مبادئ اللسان العربي، بوصفه أساس الثقافة العربية))[١].

ولأن العرب كغيرهم من الأمم الأخرى مولعون بالقصص، والأخبار، والأساطير وجدناهم ((يصورون بها عاداتهم، وطباعهم، وغرائزهم من حيث لا يقصدون))[٢]، فانطوت مادتهم السردية المنثورة في مدونات التراث القديمة على مضامين معرفية غنية بالتجارب، ولم تكن مجرد مادة للإمتاع والمؤانسة وحسب، بل خطابات تتضمن مواقف ومفاهيم وتصورات كشفت

---

(١) السرد العربي القديم: من الهامش إلى المركز، د.محمد عبيدالله، بحث، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، دمشق، مج٢٥، ع٩٨، ٢٠٠٧م، ص٥٥.

(٢) النثر الفني في القرن الرابع، د.زكي مبارك، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ٢٠١٣م، ص١٩٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عن أبنية الوعي العربي، وأنظمته العميقة[١]، ولكون هذا النتاج السردي للحكايات يمثل ثمرة الإبداع والوجدان الجمعي، فمن الصعب في كثير منها تحديد مؤلفيها، أو رصد التغير الذي طرأ عليها ((فالعرب كانوا أكثر الأمم معاورة لفعاليات الثقافة الشفوية))[٢]، وإرثهم الحكائي السردي ((في الأغلب نتاج جماعي، والجماعة لا تهتم بالتدقيق في حفظ إبداعها قدر اهتمام الأفراد بإنتاجهم))[٣]، ولذا فإن هناك من يعد نسبة الحكاية إلى مؤلف معين نوعًا من الانتحال[٤]، ومن يرى أن تعرضها للتغيير لصعوبة نقلها حرفيًّا، أثرى وأغنى وأقوى تعبيرًا عن روح الجماعة من الشعر الذي يظل أسيرًا في ذاتيته أغلب الأحيان[٥]، ومن الملاحظ أنه تنامى لدى العرب شعور بالمسؤولية تجاه ثقافتهم الشفاهية، ما وضع حدودًا قيمية للتعامل مع رواية الحكاية موضوع الدراسة، وتقنين التغيير الذي يعتريها، والذي لا بد منه، بأن ((لا يمس لبابها أو جوهرها، بل يعتري الأطراف البعيدة عن الجوهر،

(١) انظر: الأنظمة السيميائية في السرد العربي القديم، هيثم سرحان، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٥م، ص٥٥.

(٢) الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، د.ركان الصفدي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١١م، ص ١٧.

(٣) القصة في العصر الجاهلي، إبراهيم عوض، مقالة، شبكة الألوكة الأدبية واللغوية، www.alukah.net، ٣٠-٨-٢٠١٧م، ص١٩٩.

(٤) انظر: ثقافة الأطفال، د.هادي نعمان الهيتي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد١٢٣، مارس/آذار ١٩٨٨م، ص١٧٥.

(٥) انظر: الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، مصدر سابق، ص ٢٦.

فإذا تبدل جوهر الحكاية توقفت وظيفتها وسقطت من الوجدان الجمعي))[١]، كما أدرك العرب كغيرهم من الأمم أن ((المعرفة والخطاب ينبثقان عن الخبرة الإنسانية، وأن السبيل الأولي إلى تنسيق هذه الخبرة لفظيًّا، هو أن نرويها كما حدثت تقريبًا، أو كما أتت إلى الوجود من مجرى الزمن، وأحد السبل إلى التعامل مع هذا المجرى هو التوصل إلى خط سردي))[٢].

هذه الرحم التي تخلّقت فيها الحكاية التراثية العربية، وما واجهتها من تحديات أسهمت في إجحاف حقها من الدرس النقدي المبكر على وجه الخصوص ضمن المنظومة السردية العربية التراثية، التي كانت بمجملها تعاني من سلطوية حضور الشعر ومكانته السياسية، والاجتماعية، والأدبية، وحتى الاقتصادية، واستئثاره بالخطاب النقدي، وبخاصة في مراحله الأولى تحت مظلة مقولة (الشعر ديوان العرب)، حيث كان ينظر للحكاية على أنها شعبوية تمثل ((تراث العامة فاستعلى عليه الدرس الأدبي، وأنه تراث لا شكل له، فتجاهله الدرس النقدي والبلاغي، ومن ثم لم يواكبه تنظير نقدي يدخله في نسيج الجماليات كالشعر، والنثر غير القصصي))[٣]، وتبين لراصدي نقدنا القديم أن نقادنا العرب لم يبدوا اهتمامًا خاصًّا بهذه القصص والحكايات، ولم تتجاوز منقولاتهم من معينها حدود روايتها وتدوينها،

---

(١) الحكاية الشعبية بين الشفهية والتدوين والتهذيب، د.حصة الرفاعي، بحث، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، مـ٢٧، عـدد١٠٧، ٢٠٠٩م، ص١٣.

(٢) الشفاهية والكتابية، والترج.أونج، ترجمة د.حسن البنا عز الدين، مراجعة د.محمد عصفور، سلسلة كتب ثقافية، عالم المعرفة، العدد ١٨٢، فبراير ١٩٩٤م، ص٢٠٢.

(٣) التراث القصصي في الأدب العربي (مقاربات سوسيو سردية)، محمد رجب النجار، دار السلاسل، الكويت، مج١، ط١، ١٩٩٥م، ص١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتفسير غريبها، وبيان مقاصدها، وتمييز صحيحها من مفتعلها وموضوعها[١]، ومع ذلك الإجحاف والتردد الذي جعل نقادنا لا يحفلون بها مع محافظتها على كثير من سماتها الشفوية، فإن حقيقة مضمونها، ودلالاتها، وشكلها العام، ونمطها، ونوعها؛ يؤكد أن من صاغها احتذى أنموذجًا مألوفًا ومعروفًا، وإلا كان نبا عن سمت البيئة وطبيعتها في مجتمع شديد المحافظة[٢]، وهو ما أكده الدكتور شوقي ضيف بإشارته إلى أنه ليس بين أيدينا شيء من أصول هذه الحكايات، ((غير أن اللغويين والرواة في العصر العباسي دونوا لنا ما انتهى إليهم منه، وطبيعي أن تتغير وتتحرف أصوله في أثناء هذه الرحلة الطويلة التي قطعتها من العصر الجاهلي إلى القرن الثاني الهجري، وإن كان من الحق أنها ظلت تحتفظ بكثير من سمات القصص القديم، وظلت تنبض بروحه وحيويته))[٣]، وهو ما شخصه أيضًا ستيف تومبسون حين أكد خضوع الحكاية الشعبية الشفاهية للتغير، وأن دارسها يشعر أنه يسير على قاعدة من الرمال المتحركة، في ظل كيان لا يخضع لقوانين محددة، وبالتالي تصبح محاولة إيجاد نظام صارم للحكاية الشفاهية أمرًا عبثيًّا، وهذه الفوضى في طبيعة الحكاية مسألة ظاهرية، فتمركز الحكايات في منطقة بعينها يعكس ملامحها المشتركة؛ لأن شكل

(١) انظر: النزعة القصصية في الأدب العربي حتى القرن الرابع الهجري (دراسة في النشأة والتطور والموقف النقدي من القص)، محمد خير شيخ موسى، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ٢٠٠٦م، ص١٦.

(٢) انظر: الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، مصدر سابق، ص٢٠.

(٣) العصر الجاهلي – تاريخ الأدب العربي، د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط١١، ص٣٩٩.

التغيرات التي تعتريها تأتي بفعل عوامل اجتماعية ونفسية إلى جانب تشكلها من عوامل تاريخية وجغرافية(١).

وقد شعر عدد من نقادنا بقسوة هذا الحكم الذي تبنوه، وتسرعهم في إنكار حضور وأصالة هذا الجنس الأدبي العربي، وتبريره، ومن بينهم الأستاذ محمد تيمور الذي فسر ذلك بقوله: ((وما كان ذلك الإنكار إلا لأننا وضعنا نُصب أعيننا القصة الغربية في صياغتها الخاصة بها وإطارها المرسوم بها، ورجعنا نتخذها المقياس والميزان، وفتَّشنا عن أمثالها في أدبنا العربي، فإذا هو خِلْوٌ منها أو يكاد، وشدّ ما أخطأنا في هذا الوزن والقياس، فللأدب العربي قصص ذو صبغة خاصة به وإطار مرسوم له، وهو يصور نفسية المجتمع العربي وخلاله، فلا يقصر في التصوير، وإننا لنشهد فيه ملامحنا وسِماتنا واضحة، وكأننا لم نفقد في مجتمعنا العربي حتى اليوم ما يكشف عنه ذلك القصص من ملامح وسمات، على الرغم من تعاقُب العصور وتطاول الآماد، وهو في جوهره وثيق الصلة بالوشائج الإنسانية التي هي جوهر القصص الفني، وإن تبايَنت الصياغة واختلف الإطار))(٢)، ولا شك أن هذا التفسير يوجب علينا معاملة المرويات الأدبية الجاهلية على أساس عادل يعتمد على عدم الخلط بين الكتابي والشفوي فيها، فهي متون كتابية تشكلت ضمن النسيج الثقافي الشفوي الجاهلي، فبقي فيها روحه وطابعه العام، فلا يمكن نفيها تمامًا، ولا اعتماد نصوصها اللغوية تمامًا، بل مقاربتها جوهرًا لا عرضًا، كأي ثقافة شفوية، حافظت على هويتها، بحسب

(١) انظر: الحكاية الشعبية بين الشفهية والتدوين والتهذيب، مصدر سابق، ص١٣.

(٢) محاضرات في القصص في أدب العرب ماضيه وحاضره، محمود تيمور، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٢٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نظرية ميلمان باري فهي جزء من الثقافة الجاهلية الشفوية التي انتقلت عبر الرواة إلى أقلام الكتاب فيما بعد، لتستقر متونًا كتابية، لا تخلو طبعًا من علامات شفويتها(١).

وفي إثر هذا المخاض النقدي تناولت السرد العربي القديم قراءات نقدية عديدة، حاولت فيها المناهج النقدية الحديثة الدفاع عن وجودها بتقديم مقاربات لسياقاته لتدرأ عنها تهمة التبعية للغرب، وتثبت قدرتها على تقديم قراءات متعددة في النصوص القديمة والحديثة، بتركيزها على الجوانب النصية والفنية والوظيفية في النص(٢)؛ لأن تطبيق المناهج الحديثة ((أحيانًا بصورة تعسفية، قد لا يفضي بالضرورة إلى نتائج مجدية، بل قد يوقع النص المدروس في شرك الاتهام بالمحدودية والانغلاق))(٣)، ومهما كانت المحاولة في تطويع النص الأدبي إلا أن بعض النصوص الأدبية التراثية العربية تتأبى على الانتماء لنوع أو جنس معين مما يشيع من مصطلحات في النقد الغربي، مما يؤكد ما ذهب إليه تودوروف حين نظر إلى الأجناس الأدبية على أنها اختيار مما تواضع عليه المجتمع(٤)، ومع ذلك لم تكن الحكاية العربية التراثية في حقيقتها بمنأى عن مكونات السرد، ما يجعل فرصة

(١) انظر: الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، مصدر سابق، ص١٩.

(٢) انظر: النقد السميائي للسرد العربي القديم (القراءة النقدية حول نصوص من كليلة ودمنة)، د.آراء عابد الجرماني: اتحاد الكتاب العرب، ع ١٣٠-١٣١، خريف ٢٠١٣، ص ٢٦٥.

(٣) البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ميساء سليمان الإبراهيم، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١م، ص ٥.

(٤) انظر: مفهوم الأدب، تزفيتان تدوروف، ترجمة محمد منذر العياشي، دار الذاكرة، حمص، ط٢، ١٩٩٠م، ص٦٥.

تناولها من خلال أدوات النقد الغربية الحديثة واقعًا متاحًا، فمن شفاهية النص إلى تدوين روايته، وتشكل وحداته السردية، واستقراره في مُؤَلف جامع يستحيل بذلك منطقة خصبة؛ لتحليل ودراسة سياقات سرد حكاياته التراثية وفق ما تتقبله من أدوات وممارسات نقدية ديناميكية، ومن هذا المنظور الذي يوافق ما يراه جيرار جينيت من كون الحكاية عصب السرد، وأنها ثابتة وأساسية، وأن عليها مدار السرد، فبانتفائها ينتفي السرد، يتأكد أن مواصفات الحكاية العربية التراثية (خطاب سردي)[١]، وحين نهتم هنا بالحكائية من زاوية سردية على رأي الناقد سعيد يقطين، ((لا نعتبر المادة، أو القصة، ملحقة بالخطاب، ولكننا نريد الكشف عن مختلف بنياتها، لنتمكن من خلال البحث فيها من زاوية اتصالها بالخطاب أو النص أن نجلي مجمل خصائصها ومميزاتها الفنية والجمالية من جهة، وأبعادها الدلالية من جهة أخرى))[٢].

ويشير مصطلح (الحكاية) إلى فعالية (الأخبار Telling)، التي يضطلع بها الراوي في السرد حينما يقوم بدوره في تحويل (الحكاية Tale)، إلى فعل إخباري[٣]، فالحكائية مقولية كلّية ثابتة، تضم شبكة من المقولات الفرعية، وكلما توفرت في أي عمل، وبأي صورة أمكننا وسم هذا العمل بأنه ينتمي إلى جنس "الخبر" أو "السرد"، وتتحقق "الحكائية" إذن، في الكلام، أي

(١) انظر: الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧م، ص٢١٩.

(٢) قال الراوي – البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧م، ص٧.

(٣) انظر: قصص الحيوان جنسًا أدبيًّا – دراسة سردية سيميائية في الأدب المقارن، خالد سهر الساعدي، رسالة دكتوراه، جامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٩٩٩م، ص ٢٣٨-٢٣٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كلام، من خلال تحقق العناصر التالية: فعل أو حدث قابل للحكي، وفاعل أو عامل يضطلع بدور ما في الفعل، وزمان الفعل، ومكانه أو فضاؤه(١).

وتعرّف الحكاية التراثية بأنها ((فن القول التلقائي العريق، المتداول بالفعل، المتوارث جيلا بعد جيل، المرتبط بالعادات والتقاليد))(٢)، وكما تعرف بأنها ((نوع قصصي ليس له مؤلف؛ لأنه حاصل ضرب عدد كبير من ألوان السرد القصصي الشفهي، الذي يضفي عليه الرواة، أو يحورون فيه، أو يقتطعون منه، وهو يعبر عن شخصية الجماعة))(٣)، و((تتحدد عناصرها التجنيسية المخصوصة بها في الوعي بمفارقات الحياة الواقعية والارتباط بها، وإعادة تشخيص المواقف التي حدثت فيها؛ من أجل المعرفة وكشف الحقائق المجهولة، وغرابة الواقع الحسي المألوف، ونقد سلبيات المجتمع بهدف إصلاحه، والاضطلاع بوظيفة تعليمية ترسخ القيم الأصيلة بين الجماعات الشعبية، وتدافع عنها))(٤).

وتتميز الحكاية المفردة بأنها تعالج حدثًا واحدًا، كما تتميز باحتوائها على تحول فجائي في سير الأحداث قبل نهاية الحكاية، بخلاف الحكاية الإطارية أو الجامعة المتكونة من حكايات قصيرة أخرى تشكل أجزاء لها(٥)،

(١) انظر: قال الراوي – البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، مصدر سابق، ص ١٩.
(٢) الحكاية الشعبية أهمّيتها، عناصرها ووظائفها، أحمد رشدي صالح، مجلة الحوار، مجلة سياسية ثقافية عامة، أربيل، كردستان، العراق، الإثنين ٢ نوفمبر ٢٠١٥م.
(٣) ثقافة الأطفال، مصدر سابق، ص١٧٥.
(٤) السرد الشعبي في التراث العربي التشكل والأنواع، منصور بويش، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الخامس عشر، ٢٠١٥، ص ١٤.
(٥) انظر: نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، مجموعة من الباحثين السوفيت، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث السردية، ط:١، ١٩٨٢م، ص ١٤٢، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب، مجدي وهبة وكمال المهندس، ط٢، ١٩٨٦، ص ٢٩٣، ٢٩٠.

وكغيرها من الحكايات تتشكل البنية السردية للحكاية التراثية من راوٍ، ومروي، ومروي له، ومتلقٍّ، فأما الراوي فهو ناقل الحدث، وسارد الحكاية الحقيقية والمتخيلة في إطار رؤيته وموقفه منها، ((إذ يقوم بتلفظ الأقوال والأحكام التي لا يتلفظ بها المؤلف))[١]، ويتفاوت في الحضور والغياب اسمًا ودورًا؛ وفق علاقته بمكونات البنية السردية الأخرى، لذا ((اتخذ هذا اللون من القص لبوس (الخبر)، الفن الأخطر في السرد العربي، وهو ما سيكون له أعظم الأثر في بنية القصة العربية من ناحية المضمون والشكل، فهو فن يتطلب وجود راو مشارك أو مفارق، أو بالأحرى وجود سلسلة من الرواة))[٢].

وأما المروي من الحكايات التراثية فهو على صورتين؛ شفاهية، وكتابية، ويخضع سياقه لأداء الراوي، وقدرته على توظيف اللغة موضوعًا وفنًّا؛ لإيصال الرسالة بدلالتها المرادة، والمروي الكتابي هو مناط التلقي والدراسة، حيث تتشكل مكوناته وفضاءاته الزمانية والمكانية، وتتفاعل شخوص الحكاية في محيطه، و((يلتزم الحفاظ على وحدة فنية منطقية تكفل للحكاية مقومات أساسية تساعد على استمرار فاعليتها في الوجدان الجمعي))[٣]، مما جعل التحسب لهذا الفاعلية في النص الحكائي ((محكومًا بنوع من التوتر الناشئ عن ضغط بنيتين مختلفتين، البنية التي هو بصدد تشكيلها، أو التشكل فيها بمقتضى أنه نص شفوي يخضع مبدئيًّا لما يخضع له الخطاب الشفوي من قابلية الانفتاح والتولد إلى ما لا نهاية له، وبنية

(١) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحميداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٠م، ص٤٥.
(٢) الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، مصدر سابق، ص٣٧.
(٣) الحكاية الشعبية بين الشفهية والتدوين والتهذيب، مصدر سابق، ص١٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

النص المكتوب الذي هو منبثق عنه أو متناسل منه))[١]، و هذا ما حمل مرحلة التدوين أن تضطلع بدورها في تكوين تراث جديد مستمد من النص الشفاهي لتحديده شكلا ومحتوى، ورصد وتوثيق تراكماته المعرفية[٢].

وأما المروي له فيرى جيرالد برنس أنه ((يتوسط بين الراوي والقارئ، ويسهم في تأسيس هيكل السرد، ويساعد في تحليل سمات الراوي، ويجلو المغزى، ويعمل على تنمية حبكة الأثر الأدبي، كما أنه يشير إلى المقصد الذي ينطوي عليه الأثر))[٣]، وأما القارئ فهو مما يتعذر تصنيفه؛ إذ تتعدد حوله الآراء، فهناك القارئ الضمني، والنموذجي، وهناك الواقعي، والمثالي، وسوى ذلك، ومع تعدد المسميات يظل حضور المتلقي قويًّا وحيويًّا في فهم النص وقراءته، والحكاية محل الدراسة جاءت في سياق مجموع أدبي جمع وأهدي لقارىء ذي شأن رفيع من ملوك بني الأحمر كما سيأتي بيانه، فلا ريب أن يكون لذلك أثره.

ولم يكن الخطاب النقدي الحديث بمنأى عن تشخيص أسرار التكامل بين مكونات بنية السرد في الحكاية التراثية، ودورانها في فلكي الزمان والمكان بكونه أحد أبرز معززات حيوية السرد، بل هو يعين على ((التحليل الذي يفضي إليه الوصف، والتصنيف المتصل برؤية الناقد، وأدواته، وإمكانياته في استخلاص القيم، والسمات الفنية الكامنة في النصوص))[٤].

---

(١) السرد العربي القديم: دراسات في الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، ضياء الكعبي، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤م، ص٢٧.

(٢) انظر: فن القص بين النظرية والتطبيق، نبيلة إبراهيم، مكتبة غريب، القاهرة، د.ت، ص١٠١.

(٣) عبدالله إبراهيم: موسوعة السرد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٤.

(٤) المصدر السابق، ص٩.

وتنتهج الحكاية الشعبية في تأليفها لغة اليسر والعفوية والسهولة؛ لتكون أقرب إلى النفوس، فتتآلف معها تآلفًا عجيبًا فيه كثير من الحب والسحر والدهشة لاقترابها من فطرة الإنسان وشخصيته البدوية أو الحضرية، مع ما تختزنه من دروس ومواقف وتجارب ربما تخفى على كثير من متلقيها، بل إن من تلك الحكايات ما وقعت أحداثها على الحقيقة في زمن ما، ثم غيبت هوية أبطالها وشخصياتها لكي تكون مُلكًا عَامًّا للشعب الذي تدور أحداثها فيه سردًا وحكيًا في مجالسهم(١).

ومن أبرز ما يميز الحكاية التراثية من الخصائص الشكلية والمضمونية هو: الميل إلى الإيجاز، انسجامًا مع العقلية العربية الناضجة، ذات البديهة الحاضرة، التي تعبر عنها المقولة العربية المشهورة "البلاغة في الإيجاز"، والبعد عن التفصيلات الموضوعية والثانوية، إذ تهمل القصة المؤثرات المكانية والزمانية، ولا تهتم بالوصف الاجتماعي والنفسي في تناولها الشخصيات القصصية، فتغدو هذه الشخصيات كائنات قصصية عامة تكاد لا ترتبط ببيئتها إلا نادرًا، إلى جانب عدم وضوح مستويات اللغة في الحوار، فهي لا تعبر عن الشخصيات بقدر ما تعبر عن لغة القاص والجمهور(٢).

(١) انظر: الحكاية الشعبية في الخيال الشعري، علي كمال الدين الفهادي، مجلة دراسات موصلية، مركز دراسات الموصل، عدد٢٦، العراق، ٢٠٠٩، ص١-٢.

(٢) انظر: الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، مصدر سابق، ص ٥١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويعد التقابل بين الثنائيات الضدية أحد السنن الكونية التي يقوم عليها الوجود، والتي تملأ الحياة من حولنا، وتجعلها تستمر بمعناها الفطري(١) الذي خلقها الله عليه، ويكن تفسيرها على أنها عبارة عن توارد الأفكار في النفس البشرية، واجتماع الأمر وضده، فهي لها أصول مرتبطة بالأيدلوجية والفلسفة، بُني عليها سلوك الإنسان، لكونها قضية فلسفية لا تفهم بمعزل عن البنى الفلسفية المؤسسة للفكر الإنساني(٢)، فاشتراك البشر في مجموعة من المضامين المدركة كثنائيات تسهم في توحدها، وتجعل التعايش ممكنًا بينها رغم انتماءاتها المختلفة، إلا أن هذا القاسم المشترك لا يعني التوحد والتطابق المطلق، فكل مجتمع ينظم مضامينه بطريقته الخاصة وفق تقطيع مفهومي خاص به(٣)، ينتظم في سياقات ثنائية ضدية ((تعكس طبيعة الأشياء في هذا الوجود وتعبر عن حقائق الحياة، وعن خصائص كونية واجتماعية ونفسية))(٤)، ولأن الفكر بعامة يعتمد في نشاطه على هذه الثنائيات الضدية، وحوار الحدود المتقابلة والمتابينة(٥)، تم ممارستها في خطابات النقد الأدبي، ووضع بصمتها الأولى البنيويون، الذين اعتقدوا أن ((العالم مجموعة من

(١) انظر: ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، محمد الواسطي، دراسة بلاغية نقدية، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، ط١، ٢٠٠٣م، ص٢٣٤.
(٢) انظر: مصطلح الثنائيات الضدية في الفلسفة والنقد الغربيين، د.سمر الديوب، بحث، الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٨م، ص٧٧.
(٣) انظر: سعيد بنكراد، السميائيات السردية: مدخل نظري، منشورات الزمن، الرباط، ٢٠٠١م، ص٤٧.
(٤) أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، د.شلتاغ عبود، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص٢٣١.
(٥) انظر: مصطلح الثنائيات الضدية في الفلسفة والنقد الغربيين، مصدر سابق، ص٥٩.

الثنائيات المتشابكة والمتقابلة، تنعكس على شبكة العلاقات اللغوية؛ فتحيلها إلى مجموعة الثنائيات الخالصة))[١].

وتمثل الثنائيات الضدية في محيط السرد تيارًا عالي التأثير، رصده البنيويون في تحليلهم النقدي البنائي، مستلهمين أبعادها من معطيات الأساطير، مؤمنين بانتظام هذه الثنائيات وثباتها، ساعين نحو الجمع بين الدلالات في إطار التوفيق بين الأضداد، في حين نأى التفكيكيون عن مستوى التوفيق بين تلك الثنائيات، لعدم إيمانهم بثباتها، بينما وجد السميائيون في اللسانيات البنيوية مجالا رحبًا لترسيخ وتعزيز الثنائيات المعتمدة في تقنيات وآليات وممارسات التحليل السميائي الدلالي، وهو ما يمكننا من الإمساك ((بنمط اشتغال السلوك الإنساني، ونمط إنتاجه للقيم))[٢]، ((فالصراع على مستوى حياة النص لا يؤدي إلى تفجيره وتفكيك أوصاله، وإنما يؤدي إلى سلامته وعافيته، وقدرة احتماله التأويل))[٣]، كما أن ((المعنى الذي يتشكل ضمن سلسلة الأدلة المتشابكة لا يمكن القبض عليه بمعزل عن حركية التبادل التأثري فيما بينها بحيث لا يمكن لأي سلسلة كلامية لاحقة أو سابقة أن تظهر بمنأى عن هذه الحركية))[٤].

---

(١) بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي، د.محمد بن عبدالمطلب، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٥م، ص١٤٩.

(٢) السميائيات السردية: مدخل نظري، مصدر سابق، ص٤٨.

(٣) دينامية النص تنظير وإيجاز، د.محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٠م، ص٧٠.

(٤) جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، خيرة حمر العين، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٦م، ص١٣١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن طبيعة استخدام تقنيات الثنائية التضادية في السياق الأدبي أنها تحدث أثرًا كيميائيًّا في النص الأدبي نتيجة تفاعل الذات المبدعة وإمكاناتها الفنية مع الذات الإنسانية وصراعها مع الحياة، وبالتالي تتشكل الرؤية الفكرية والقيمية المرتبطة بعصر النص، إلى جانب أن للثنائيات في الحكايات حضورًا مؤثرًا في إيقاعها السردي، حيث تنسرب في نسيجها ألوانًا من التشويق القرائي تحقق بذلك انجذابًا تتبعيًا للمتلقي والقارئ، وتسعف الأحداث بالمثير حين تنساق إلى الرتابة، إنها توظف تقنية المفارقة؛ لتضفي الحيوية على تجربتها السردية الإنسانية، كما ((تولد الثنائيات الضدية فضاء مائزًا؛ إذ تجتمع جملة علاقات زمانية ومكانية، وفعلية بأزمنة مختلفة، فتلتقي هذه العلاقات على أكثر من محور، تلتقي وتتصادم وتتقاطع، وتتوازى، فتغني النص، وتعدد إمكانيات الدلالة فيه، فالتضاد الفعلي والاسمي يشكل عالما من جدل الواقع والذات في صراعها مع الحياة))[(١)]، مما يسهم بدوره في تحقق عناصر ((الإقناع والتأثير، وإنتاج الدلالة، وتكشف -أيضًا- عن جمالياتها في النص، وما تقدمه فيه من دهشة ومفاجأة، وما تقوم به من ربط بين المتناقضين، وتفاعل بينهما، وتناسب بين المعاني رغم الضدية))[(٢)]، كما تسهم هذه الثنائيات الضدية في نسج نسق سردي مفعم بالغرابة والإدهاش، ((فنزوع السرد التراثي إلى الغرابة يدعم تفاعلا خلاقًا بين الكاتب والقارىء، ويصيره تفاعلا يتجاوز البعد الفردي، انطلاقًا من التجلي الأنطولوجي للكاتب والقارىء معًا، صوب تفعيل التواصل مع نسق

(١) مصطلح الثنائيات الضدية في الفلسفة والنقد الغربيين، مصدر سابق، ص٧.

(٢) الثنائيات الضدية في لغة النص الأدبي بين التوظيف الفني والذوق الجمالي، زيتونة مسعود علي، بحث، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، عدد٧، ٢٠١٥م، ص١٥٧.

ثقافي وفكري وحضاري وتاريخي واجتماعي يفيد في فهم غرابة النص السردي التراثي، والنظر إليها باعتبارها حافزًا لإنتاج الأفكار والدلالات))[١]، وذلك تجسيدًا لمقولة ((السرد مصدر للمتعة والمعرفة))[٢].

والعلاقة بين المتناقضين تبدو للمتأمل علاقة مقلقة وليست مريحة، وهو أمر مؤثر في القارىء أو السامع فينفعل به، ويشحذ ذهنه ليتفهم دلالته المتداخلة[٣]، إلى جانب أن هناك قيمة نوعية تتولد من اجتماع هذين الطرفين المتقابلين، فتثير وتحرك مشاعر المتلقي، ومن ثم يتضاعف التمتع بالقيمة الجمالية[٤]، بمضاعفة الطاقة الأسلوبية، ليس بسبب وفرة عدد المتضادات، وإنما لتشكيلها، ومستوى الإشارات التي تنتجها، وتحييها داخل بناء النص العام[٥]، بوصفها أسلوبًا أدبيًّا يعلي من قيمة النص، وتتلاحم عن طريقها كلماته وأسلوبه في إنتاج الخلاصة الفكرية، والوقوف على أعتابها، وإظهار المشاعر الإنسانية المشحونة بالنقلات والحركات المتعاكسة[٦]، وهذا

---

(١) جدلية التفاعل في السرد التراثي العربي: عبدالفتاح كيليطو نموذجًا، د.عبدالرحمن التمارة، أوراق المؤتمر الدولي: مسالك الكتابة وآفاق التلقي في اللغة والأدب والحضارة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، ٢٠١٦، ص١٩٨.

(٢) الأدب والارتياب، عبدالفتاح كيليطو، دار توبقال، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠١٣م، ص١٣.

(٣) انظر: ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، دراسة بلاغية نقدية، مصدر سابق، ص٢٣٦.

(٤) انظر: بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفة، د.محمد بركات أبو علي، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م، ص٩٥.

(٥) انظر: بنية القصيدة في شعر عز الدين المناصرة، د.فيصل القصيري، دار مجد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٤٦.

(٦) انظر: الثنائيات الضدية في قصيدة ابن زريق الفراقية، د.نهى كندوح، بحث، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، كلية الإمارات للعلوم التربوية، مارس ٢٠١٨م، ص٧٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التضاد من جانب آخر يساعد على تذكر واستحضار المعاني الغائبة عن الذهن، فالضد يذكرنا بضده، وبالتالي فإن الثنائيات الضدية نمط تعبيري محفز للتذكر(١)، يسهم في توليد وإثراء المعرفة من خلال المقارنة المفضية للاستنتاج، وبناء تصور معرفي دقيق عن الأشياء، كما يعد وسيلة ((من وسائل استشفاف))(٢) الحياة بكل تفاصيلها، وتحويلها إلى إشارات دلالية تنقلها من وجودها الثابت في الطبيعة إلى عالم تدخل فيه ضمن شبكة من العلاقات المفتوحة.

ولم تكن الثنائيات غائبة عن فكر العرب النقدي، وإن اختلفت المسميات؛ إذ كان كتاب الجاحظ المحاسن والأضداد أنموذجًا سابقًا لفهم طبيعة هذه الثنائيات، ومقاربتها، وهناك من كشف عن بعض من أسرارها كالإمام الجرجاني في قوله: ((وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر بعد ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المشئم والمعرق، وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبهًا في الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك التئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين))(٣)، كما التفت الإمام القرطاجني لتلك الجماليات التي تنثال من الثنائيات في مسارب النصوص حين قال: ((للنفوس في تقارب المتماثلات

(١) انظر: كلام الله الجانب الشفاهي من الظاهرة القرآنية، د.محمد الكواز، دار الساقي، بيروت، ط١ ،٢٠٠٢م، ص ٤٢.

(٢) فن الأدب والمحاكاة، د.سهير القلماوي، دار الثقافة، القاهرة، د.ط،١٩٧٣م، ص١٠٤.

(٣) أسرار البلاغة في علم البيان، للإمام عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق الدكتور عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ (٢٠٠١م)، ص١٠٠.

وتشافعها، والمتشابهات والمتضادات، وما جرى مجراها تحريكًا، وإيلاعًا بالانفعال إلى مقتضى الكلام؛ لأن تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين، أمكن من النفس موقعًا من سنوح ذلك لها في شيء واحد، وكذلك حال القبح))[١]، وفي ضوء تلك الالتفاتات النقدية؛ تبين أن تضاد الثنائيات يعد أحد مقومات التعبير الأدبي؛ لأنه يعتمد عرض الامتداد والمتناقضات ليوحد بينها ويصهرها، ويعكس حاجة إنسانية من الواقع المتغير، والحياة غير المستقرة، وهو يدهش المتلقي، ويصدمه في التنبيه على تأمل المعاني وتدبرها، وشد مسافة التوتر في النص[٢].

وبتتبع ما خلده الإبداع الإنساني منذ أن تنفس الحياة يلاحظ في سياقاته المتعددة كم شغلته ثنائية (الحياة/والموت) بكونها الثنائية الكونية الكبرى، فراكم نتاجه على إثرها في هيئة خبرات واعتقادات، بنى عليها قيمه ومبادئه، واستقرت في ذاكرة الجمع الإنساني، مستمدة بقاءها وتأبّيها على النسيان من قسوة الفراق وأوجاعه، غير أنها شكلت لدى العربي طابعًا متفردًا عن غيرها من الثنائيات التي تناولها في تراثه الإنساني، فقد ارتبطت بطبيعة حياته المغامرة، وقسوة بيئته، وصراعه مع الآخر، ومواجهة الظلم والقهر؛ مما جعله يتخذ منها مواقف لافتة كشفت عن قيمه وأخلاقه في إطار رؤيته لهما باعتبار الظرف المعيشي الذي يصارعه حدثًا، وشخوصًا،

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، للإمام حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط٣، ٢٠٠٨م، ص٤٠.

(٢) انظر: علاقات التضاد في شعر البحتري، د.وسن عبدالمنعم ياسين، بحث، مجلة المجمع العلمي، بغداد، ج٤، م٥٥، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م)، ص٤٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومكانًا، وزمانًا، ولأنه ((ليس كالموت سبب للقلق))[١] كان العربي الجاهلي على درجة بالغة الحساسية تجاهه، فديانته لم تقدم له العون في مواجهة هذه المشكلة[٢]، وهو كغيره من البشر حريص على الخلود، يسعى جهد استطاعته لتأكيد ذاته وسط سيله القوي الجارف اللانهائي[٣]، منذ أن أدرك أنه الموجود الوحيد المتميز بالفردية، والشخصية، والوعي، والتفكير، وأنه الكائن الوحيد الذي ينطوي موته على مشكلة عميقة، وسر مستغلق[٤]، ظل لغزًا يشغله، ويقلقه، في ظل تعددية المفاهيم والرؤى والمعتقدات. التي لم يكن العربي في جاهليته بمنأى عنها، ما جعله يتجه في حل هذا السر نحو ((الربط بين الحياة والموت، وجعلهما ثنائية لا تنفصل))[٥]، وهو ما فسره بعضهم بأنه ((يزيد الأمور إشكالا، إذ إن الموت في ذاته غامض عصي إدراكه على العقل البشري، فتظل التهويمات بين إدراك لمفهوم الحياة، وكشف النقاب عن حقيقة الموت حائرة، وتظل معها تلك الثنائية القطبية

(١) قلق الموت، د.أحمد محمد عبدالخالق، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد١١١، ١٩٨٧م، ص١١.

(٢) انظر: الزمن في الشعر الجاهلي، عبدالعزيز طشطوش، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، ١٩٨٣م، ص٧٥.

(٣) انظر: الموت والعبقرية، عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ١٩٧٥م، ص١٠٩.

(٤) انظر: مشكلة الإنسان، د.زكريا إبراهيم، مكتبة النصر، القاهرة، د.ت.ط، ص١١٤.

(٥) ثنائيات التضاد الدلالي في صورة الشهيد: دراسة في الشعر الفلسطيني المعاصر، د.أسامة عزت أبوسلطان، بحث، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، مصر، ع١٥، ج٤، ٢٠١٤م، ص ٦٨.

عصية على الفهم المطلق، لكُلّيتها من العقل البشـــري))[١]، و((لأن المـــوت نفسه يلغي الخبرة الناجمة عنه، وبسبب هذا الغموض وهذه الإثارة، ينطلق الخيال في فضاء الرؤى والتصورات))[٢].

ومع ذلك الغموض المنغلق تبقى خبرة الحياة وخبرة المـــوت ((فـــي صميمهما تعبيرًا عن ثنائية))[٣] تمثل ((أشد وجوه الزمنية غورًا في الـــذات الإنسانية، وفي علاقة الإنسان بالكون والطبيعة))[٤]، والتي ((تبلغ أكبر حـــد من ورودها في الوحدات التي تصور حركة في سياق الزمن لأشكال الحياة، تصارع من تأكيد الحياة في لجة الموت، أي حيث تكون الضـــدية خصيصـــة جوهرية من خصائص الموقف الوجودي نفسه))[٥]، ذلك أن الحياة غريـــزة واضحة الأثر في حركاتنا وسكناتنا، والموت غريزة ماثلـــة أمـــام أعيننـــا، ومظاهر الحياة كلها ما هي إلا نتيجة ذلك التجاذب بين قطبي هذه الثنائية[٦]، ولذا يقول سقراط: ((لا بد أن يتولد الموت من الحياة، والحياة من المـــوت،

(١) الحياة والموت في شعر صعاليك العصر الجاهلي، د.علي الثوابية، رسالة ماجستير، كليـــة الآداب، جامعة اليرموك، ٢٠١٢م، ص ١٥.

(٢) شعرنا القديم والنقد الجديد، وهب رومية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ٢٠٧، آذار ١٩٩٦م، ص٢٦٨.

(٣) فلسفة الحياة والموت بين الأساطير والفنون: رؤية باشلارية، د.غادة الإمام، بحث، مجلـــة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج٧٠، ج٤، ٢٠١٠م، ص ١٥٩.

(٤) في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، د.كمال أبوديب، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١١١.

(٥) الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجـــاهلي، د.كمـــال أبوديـــب، الهيئـــة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص٨.

(٦) انظر: مصطلح الثنائيات الضدية في الفلسفة والنقد الغربيين، مصدر سابق، ص٦٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وإلا فقد تخالف الطبيعة قاعدتها المطردة في جميع الأشياء))[١]، ويمكن تلخيص مشكلة الموت على أنها ((مشكلة الأنا والذات المقلقة التي ما تكاد تنفتح على الحياة، وتشرع في تذوقها، والتزود من مباهجها، حتى تدرك أن التناقض يسردها، وأن الموت هو خاتمة التناقض))[٢]، وسبحان الله العظيم القائل: ((تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ))[٣].

وتمثل ثنائية الحياة والموت إحدى الثُنائيات الشائعة المؤثرة في الخِطاب الوَعظي الحكائي، ومكونًا محوريًّا في أدائه[٤]، وكانت تصوراتها وتأملاتها في إبداع الجاهليين وثيق الصلة بالحياة البدوية وعقليتها الفكرية التي تقوم على التجربة والمغامرة، دون التوغل في متاهات الفكر الفلسفية العميقة الباحثة في حقيقة الموت، أو حتى تصور إمكانية الانتصار على الموت بالبعث وفق ما جاء في الديانات التوحيدية، وهو ما جعل صورة الموت ورحلته نهائية لا عودة لغائبها، وبالتالي برز الأثر النفسي في مواجهة فكرة الموت من خلال سياقات الحكمة، والتأملات القلقة، وهواجس

(١) تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، عبدالناصر هلال، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص١٣.

(٢) الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام، د.ناجي التكريتي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص٢٣.

(٣) سورة الملك الآية ١-٢.

(٤) انظر: ثنائية الحياة والموت "خِطاب الموتى"، محمود خليل، مقال، ١٠فبراير، ٢٠١٩، موقع التنوير، مؤسسة رسالة السلام، www.elwatannews.com.

الخوف والاضطراب[١]، ولم تغب هذه الثنائية عن وجودها العفوي في إبداعات العرب، وإن تفاوت حضورها بمدى علاقتها، ودرجة تمحورها، وتأثرها بنواة النص، ووحداته، حيث استطاعت هذه الثنائيات أن تشخص البعد النفسي في نفسيات عدد من المبدعين على مر التاريخ العربي، والذين تمكنوا من بناء رؤية خاصة، استثمروا فيها الصراع بين المكونين المتضادين (الحياة/الموت)؛ باكتشاف علاقات استثنائية، تمثل علاقات ((تكامل، وتناغم، وإغناء، وإخصاب))[٢]، وسمت إبداعهم بالتفرد، فشغلوا النقاد بعدهم بتفسيرها، والكشف عن مكنونها الجمالي.

(١) انظر: خطاب الموت في الشعر الجاهلي، أحمد الحسين، مقال، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، www.nizwa.com، ١ أبريل، ١٩٩٧م.

(٢) جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر، د.كمال أبوديب، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩م، ص١٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني

دراسة تحليلية لأنموذج حكائي تراثي من مرويات ابن هذيل:

ليس من مستهدفات هذه الدراسة التعمق في بحث أبعاد ثنائية (الحياة/والموت) فلسفيًّا بالقدر الذي تأمل أن تنبثق عنها لرصد تحولات خطابها في إحدى الحكايات التراثية، وبما يلمح لرؤية الإنسان لهذه المعادلة في سياق سردي يحتضن بعفوية جدلية (الحياة/والموت)، ذلك السرد الذي ((ينتظم وفق أنظمة سيميائية تكشف عن بنى معرفية عميقة تمثل علاقات دلالية متلاحمة من جهة، وكاشفة من جهة أخرى، فأما وجه تلاحمها فيتمثل في طبيعة تشكيل الأنظمة وتعاضدها، فهي تجسد روابط الوعي والثقافة، وأما وجه كشفها فيتمثل في ذلك الرصيد المعرفي الذي تمدنا به، بمعنى أن السرد من خلال تمثلاته المنتخبة، هو خطاب زاخر بالمقولات، والمعارف الكبرى التي إن تم استثمارها وفحصها، أدى ذلك إلى تزويدنا بمفاهيم ثقافية ومعطيات دلالية ستدفع نحو فهم ذاتنا الثقافية فهما دقيقا، إضافة إلى توسيع دوائر الاحتجاج))[١]، ويمثل القصص الواقعي النوع الأغزر من السرديات التي تتناول حياة العرب في سلمهم وحربهم، وجِدّهم وهزلهم؛ لأنها كانت سجلات تاريخية تدون أحداثهم، وتمثل ملامح هويتهم، وقيمهم، وأخلاقهم، لذا حرصت كل قبيلة على نقل مآثرها إلى الأجيال، وهو ما حفظ هذه الآثار من الزوال[٢].

---

(١) الأنظمة السيميائية في السرد العربي القديم، مصدر سابق، ص٥٥.

(٢) انظر: الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، مصدر سابق، ص٣٧.

وبين يدي هذه الدراسة حكاية تراثية تروي قصة إنسان ذي شخصية اعتبارية، وقع دون أن يعلم في واقعٍ ظالم، فرضته شخصية ملك ذي سلطان؛ بقانون جائر ارتبط بيوم بؤسه، فعاش بطلُ الحكاية أيامًا مفصلية في حياته، يُنازع فيها شبح الموت؛ حيث ظُلم الملك، وحُلم النجاة، ومسؤولية الأسرة، وثقة الضامن، والموت المتحقق؛ فضمت الحكاية في إطار ثنائية (الحياة/والموت) وبمجريات أحداثها، ومعطيات نهايتها صراعًا ثريًّا بالقيم العربية الإنسانية النبيلة، كما كشفت تعددية روايات الحكاية وسريانها على ألسنة الرواة والمدونين عن جوانب في مدلولاتها، حيث وردت في عدد من كتب التراث[١]، غير أن الدراسة اعتمدت على النص الذي أورده ابن هذيل في كتابه مقالات الأدباء ومناظرات النجباء لمسوغات عدة، منها:

١. هذا الكتاب المؤلف في نهاية القرن الثامن الهجري يصنف ضمن سلسلة كتب أدب السمر، ويمثل في منهجه ومادته مرحلة متأخرة زمنيًّا من مراحل التأليف فيه، إلى جانب ماله من قيمة اجتماعية وأدبية، تستحق البحث والعناية مضمونًا وفنًّا.

---

(١) انظر منها: المحاسن والأضداد لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحقيق محمد سويد، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ (١٩٩١م)، ص٧٨،٧٩، والمحاسن والمساوىء لإبراهيم بن محمد البيهقي (ت٣٢٠هـ)، تحقيق محمد سويد، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ص١٣٨-١٣٩، والمستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد أحمد الأبشيهي (ت٨٥٠هـ)، شرح وتحقيق د.مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م)، ٤٢٩/١، وقصص العرب، تأليف محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البيجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٤٨١هـ (١٩٦٢م)، ١٦٦،١٦٧/١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٢. المطلع على ترجمة ابن هذيل مؤلف الكتاب يدرك مدى سعة اطلاعه، وغزارة ثقافته، وتنوعها مما أتاح له أن يمتلك القدرة على الجمع الموثوق، والاختيار والانتقاء الموضوعي والفني الذي يكشف عن ذائقته الأدبية الرفيعة، كما أن ابن هذيل كان ينتقي مصادره، حيث أشار محقق الكتاب أنه أخذ عن ابن المعتز، وابن قتيبة، والمبرد، وابن عبدربه، والآبي، والأخفش الأصغر، والشريشي، وابن سعيد الأندلسي، وغيرهم [١].

٣. حِرصُ ابن هذيل وعنايته بتأليف وتصنيف هذا الكتاب؛ لنيته إهداءه أمير المسلمين في وقته أبي عبدالله محمد بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي، ثامن ملوك دولة بني نصر بن الأحمر في الأندلس، ولهذا الحرص دواعيه؛ لأن سياقات حكاياته تتضمن بلا شك رسائل دقيقة ومهذبة مُلحة قصد الأديب الحكيم أن تصل إلى ولي أمر المسلمين في ظروف متوترة من تاريخ الأندلس، وفي تفسير هذا السلوك التأليفي يقول الدكتور عبدالفتاح كيليطو: ((بصفة عامة، يعلن المؤلفون العرب في مستهل مصنفاتهم أنهم كتبوا تلبية لطلب، أو أمر صادر عن جهة ما، فكأنهم يبحثون عن عذر أو مسوغ للكتابة، وكأنهم كشهرزاد؛ بحاجة ماسة إلى ترخيص شخص ذي سلطة، أو يعتبر حجة وعمدة، قد يكون مرد هذا السلوك إلى التواضع، أو الحذر، أو الرغبة في الإعلاء من شأن الكتاب، ومنحه سمة الضرورة واللزوم))[٢]، وهو ما يؤكد أن ((الكتابة السردية التراثية كانت

---

(١) انظر: مقالات الأدباء ومناظرات النجباء لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل، تحقيق الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن عثمان الهليل، ط١، مؤسسة الرسالة ناشرون، ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م)، ص٤٠-٤١.

(٢) الأدب والارتياب، مصدر سابق، ص١٣.

تميل للتفكير في قارئها الخاص، من منطلق محاربة التمثل التنقيصي الذي يجعلها ثقافة شعبية وليست عالمة))[١].

٤. هذا الكتاب حظي بالدراسة والتحقيق المنهجي من أستاذ متخصص.

٥. أشار المحقق إلى أن ابن هذيل اقتصر في مؤلفه ((على النقل والجمع دون أن تكون له شخصية في إبداء الرأي بالاستحسان أو الاستهجان، أو الاستغراب لما يورده))[٢]، وهذا يتيح للمتلقي أن يستقبل مدلولات السياق دون تأثير، أو توجيه مباشر من راويه الأخير.

ولأن الحكاية ليس لها عنوان محدد، اقترح لها الباحث عنوانًا هو: (حياة من أجل حياة)، ويبدو أن فكرة العنوان كانت بعيدة عن المؤلف كصنيع المتقدمين، فقد اختط لنفسه نهجًا التزم في غالب أحواله سرد الحكاية، والنادرة، والمثل، والوصية، والشعر في مقالات مفردة مرقمة تحوي كل واحدة منها على ما ذُكر.

(١) جدلية التفاعل في السرد التراثي العربي: عبدالفتاح كيليطو نموذجًا، مصدر سابق، ص١٩٠.

(٢) مقالات الأدباء ومناظرات النجباء، مصدر سابق، ص٤٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تحليل النص:(**حياة من أجل حياة**)

تقسيم النص: يمكن تقسيم الحكاية وفق تحول أحداثها إلى قسمين:

(القسم الأول) : ذُكر أن ملكًا كان له يوم بؤس، إذا خرج فيه أحد على صفة يكرهها حبسه أيامًا، ثم أمر بضرب عنقه، فخرج يومًا من تلك الأيام، فلقي رجلًا قاضيًا، لم يكن عنده علم بشأنه على الصفة التي ينكرها، فأمر بحبسه، وأعلم الرجل بالأمر، فحمد الله تعالى وسلم للقدر، فلما قرب الأمر كتب إلى الملك يرغب في تخليته سبيله ليودع أهله، ويوصي في ماله، فأحضره، وقال له: هذا الأمر لا يكون إلا بضامن آخذه بما أطلبك به، فنظر الرجل في الحاضرين يمينًا وشمالاً، ثم مدّ يده إلى رجل منهم، وقال: هذا يضمنني، فقال الملك: أتضمنه وقد علمت ما يراد به؟، فقال: نعم فأمر بحبسه مكانه، ونهض المضمون إلى بلده، وأوصى في ماله، وودع أهله، وانصرف، وقد وافق تمام المدة.

(القسم الآخر): فلما استأذن على الملك أمر بإحضارهما معًا، وقال للضامن: ما حملك على ضمانه، والمخاطرة بنفسك في شأنه، ولو تأخر لسبق فيك السيف العذل؟، قال له: أيها الملك ما رأيت –وقد وثق بي – أن أخالف ظنه فيّ، وتخوفت أن يقال ذهب الكرم. فرجع إلى المضمون، وقال له: ما حملك بعد تخلصك على التنشب، وقد علمت المراد بك؟، قال: لم يكن يجمل بي أن أراه مكان الثقة، ويراني مكان الغدر، وتخوفت أن يقال: ذهب الوفاء، فعجب من وفائهما جميعًا، وقال: وأنا والله أخاف أن يقال: ذهب العفو. فعفا عنهما ورفع ذلك اليوم فلم يقصده بعد[١].

(١) مقالات الأدباء ومناظرات النجباء، مصدر سابق، ص٧١.

نظرة في تقسيم الحكاية:

نلحظ منذ القراءة الأولى للحكاية أن القسم الآخر منها هو تفسير للأول، وناتج عنه، فالقسم الأول إذن هو صلب الحكاية، وإن كانت النهاية العامة بنيت على حوار القسم الآخر، وربما كانت نهاية القسم الأول كافية حيث تحققت العودة، غير أن الحدث الجديد (إحضارهما معًا عند الملك)، غيّر مجرى النهاية من (موت القاضي) إلى (العفو، ومنح الضامن والمضمون الحياة، ورفع ذلك اليوم الظالم)، ولو توقفت الحكاية عند نهاية القسم الأول لافتقدت هذه الحكاية التراثية خلودها، وقيمتها المعنوية، ولغدت صورة محدودة من صور ظلم الملوك، لذا فإن الشطر الأول لا يستغني أبدًا عن الشطر الآخر، وكان القصد من التقسيم بيان التحول في أحوال وصفات الشخصيات، وأحداث الحكاية وزمانها.

تحليل الحكاية:

أولاً: **الشخصيات صفاتها وأحوالها**:

- **الشخصيات في القسم الأول** -

(الراوي)؛ وقد أشار إليه الكاتب في قوله (ذُكر)، ووظيفة هذه الشخصية إخبارية، وجاء الفعل بصيغة المبني للمجهول، ربما لنسيان السارد شخص من روى عنه، أو أنها ذكرت له من طرق متعددة فتداخلت عليه، فآثر أن يبني الفعل للمجهول لأجل ذلك.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(الملك)؛ أحد أبطال الحكاية، وهو حسب مصادر المحقق النعمان بن المنذر[١]، وهو شخصية بدت في هذا القسم قاسية ظالمة متعالية لا تقيم لحياة الإنسان وزنًا، فلديها استعداد أن تضحي بالنفس البشرية عبثًا لمجرد الشعور بالبؤس المقيد بيوم من السنة، وهذا الفعل باعث الشخصية عليه هو الغرور والهوى، والزهو بالملك، وهي أيضًا شخصية تفتقر إلى خُلق الشفقة والرحمة، فهي لم تهتز عواطفها حين طلب القاضي منها تخليته لوداع أهله، بل كان شرطها في التخلية تعجيزيًّا، وتحديًا لولا أن نخوة الضامن أسعفت القاضي، ويؤكد ذلك سؤالها للضامن في استنكار ظهرت فيه نبرة التهديد والتخويف.

(أحد)؛ شخصية لا ملامح لها، وليس لها كنه محدد، فهي تنطبق على كل أفراد الرعية، غير أن قانون الملك نصّ على ألا تكون صفتها في يوم بؤسه على النحو الذي يكرهه، ولم يحدد السارد نوع هذه الصفة أهي خَلقية أم خُلقية.

(القاضي)؛ هي شخصية البطل الذي حرك أحداث الحكاية بأفعاله، بدت الشخصية جاهلة بقانون الملك، عالمة بأبعاده بعد أن عرفت به، لذا لم تقاوم، بل كانت مستجيبة صابرة راضية بقضاء الله وقدره، ثم أظهرت أنها شخصية اجتماعية تقدر مقام الأسرة، والتزامها تجاه مسؤوليتها، فطلبت مع جلل الخطب الملمّ أن تودع الأهل، وتوصي لهم بالمال، كما أنها شخصية قاضٍ متفرسة ناضجة تستطيع التمييز بين نفوس الرجال، ولذا وفقت في اختيار الضامن، ثم حملت هذه الشخصية صفة الوفاء بعد أن أدركت فضاء

(١) مقالات الأدباء ومناظرات النجباء، مصدر سابق، ص٧١.

الأمن فأبت إلا العودة، كما نلمح في شخصية (القاضي) أن الحدث أخضعها للتحول من مسماها، ووظيفتها، ومقامها من قاضٍ له هيبته، وسلطته، وحكمه إلى سجين مقهور، محكوم عليه يبحث عمن يضمنه.

(الحاضرون)؛ شخصيات ذات مكانة، تجالس الملك وتنادمه، وهي تقف على يمين الملك وشماله، وهي شخصيات ثانوية تابعة، حيث اتضح من صمتها في السرد أنها لا تملك أن تراجع الملك في قراراته الظالمة ليعدل عنها، ولكن لمنزلة هذه الشخصيات عند الملك وثقته فيهم عرضها أمام القاضي السجين ليختار منها الضامن، ربما لأنه كان يتوقع الرفض منهم لمعرفتهم بحزمه، فأراد أن يغلق الباب دون رغبة القاضي السجين.

(الرجل الضامن)؛ شخصية تحولت من دورها الثانوي إلى دور البطولة لتسهم في تحريك أحداث الحكاية، وهي شخصية أضحت محل الثقة، وملاذ القاضي السجين المضطر، قدمت هذه الشخصية في أحلك اختبار ربما يمر بإنسان أنموذجًا رفيعًا ونادرًا لسمو النفس المتفانية في سبيل إسعاد غيرها، ولو كان السبيل مغامرة خطرة تجازف فيها بحياتها، وهي شخصية واقعية مدركة لعاقبة الأمر كانت تعلم ما سينالها من ذل الحبس فترة الانتظار، وجلل النهاية إن لم يعد المضمون لأي سبب، ولكنها أصرت على موقفها الفدائي النبيل مع استفهام الملك ذي الروح التهديدية.

(أهل القاضي المضمون)؛ هي شخصيات غير محددة إلا أن أثرها العاطفي ظهر في طلب القاضي رؤيتهم وتهيئة أمورهم قبل مفارقتهم للأبد، ويبدو أن موقع محبتهم، وتعلقه بهم واضح في نفسيته، وإلا لما قدم هذه الرغبة للملك في ظرف صعب، وبشرط محرج مع نفس بريئة أخرى دفعتها النخوة لتلبية مراده.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

العلائق بين الشخصيات في القسم الأول:

(الراوي/ شخصيات الحكاية)؛ علاقة إخبارية.

(الملك/ أحد من الرعية)؛ علاقة حُكم ظالم عابث وقع على مستضعف بباعث الهوى والزهو.

(الملك/ القاضي)؛ علاقة ملك متسلط على شخص عزيز في قومه وقع في شرك بغيه على الرعية بغير وجه حق، وهي علاقة تفتقد تقدير واحترام الملك لشخصية القاضي، بينما يبادل القاضي علاقة الملك المجحفة بعلاقة طاعة لولي أمره، ورضا تام بما حكم به إيماناً بقضاء الله وقدره، كما تضمنت علاقته بالملك الاستعطاف من أجل تحقيق رغبته في توديع أهله، فالعلاقة المتبادلة بينهما تعد المحاور المحركة للأحداث.

(الملك/ الحاضرون)؛ علاقة مجالسة ومنادمة، إلا أن العلاقة تطورت حين أشركهم في أحداث الحكاية بعرضهم على القاضي كي يختار الضامن، وهم أظهروا له الطاعة والاستجابة لأمر العرض دون أي تدخل إيجابي في مصلحة القاضي.

(الملك/ الضامن)؛ علاقة مجالسة تحولت بفعل الحدث إلى علاقة أشبه بالتحدي غير المباشر، فربما لم يكن الملك يتوقع أن يستجيب هذا الرجل لاختيار القاضي.

(القاضي/ أحد من الرعية)؛ علاقة تشابه في مآل الشخصية، وتحولها إلى شخصية ذات صفة يستكرهها الملك في يوم البؤس، فتستحق منه العقاب.

(القاضي/ الحاضرون)؛ علاقة تفرس واستجداء للنخوة بحثًا عن سبيل لتحقيق رغبته في توديع أهله.

(القاضي/ الضامن)؛ علاقة ثقة، ووفاء، وتقدير للمواقف.

(الضامن/ الحاضرون)؛ علاقة انتماء لزمرة جلساء الملك، لكن ربما بدت على ملامحه دلائل الاستجابة فوقع عليه الاختيار من الضامن.

(الحاضرون/ أحد من الرعية)؛ علاقة سلبية فهم مجرد ندماء شهود على ظلم الملك، لا يملكون القدرة على تذكير الملك بضرورة حفظ حقوق أفراد الرعية، والعدول عن قرارات ظلمه.

- الشخصيات في القسم الآخر -

(القاضي المضمون)؛ جاءت صفات شخصية القاضي في هذا القسم لتؤكد ما سبق من صفات تشير إلى أن تصرفها كان نابعًا من إدراك ووعي بقيمة الفضائل وأثرها في تغيير الحياة إلى الأفضل، وكانت حياة النفس هي الثمن لحياة الفضيلة.

(الملك)؛ في هذا القسم تحولت شخصيته بشكل إيجابي قيميّ بسبب موقفه المتعجب مما حدث من الضامن والمضمون، وكأن الموقف أيقظه من غفلته عن حقيقة ما يتمتع به الرجال الكرام من فضائل، ولذا تحولت شخصيته من الظلم إلى العدالة، ومن التعصب والحزم المفرط إلى المرونة واللين في التعامل، وكانت النهاية دليل هذا التغير الذي بعثه على الإعجاب وتقدير المواقف، فحين لم تهتز عاطفته في القسم الأول شفقة ورحمة، اهتزت في القسم الآخر نخوة وعفوًا؛ وربما أخذته العزة فلا يكون غيره أكرم، ولا أسبق إلى الفضل منه.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(الرجل الضامن)؛ شخصية جاءت في هذا القسم كما كان عليه واقع شخصية القاضي المضمون لتؤكد ما سبق من صفاتها، وسبب استجابتها لنداء القيم والكرم.

العلائق بين الشخصيات في القسم الآخر:

(الملك / القاضي المضمون – الرجل الضامن)؛ علاقة تقدير، وإعجاب، وعفو.

(القاضي المضمون/ الرجل الضامن)؛ علاقة وعي وإدراك لحقيقة قيمة ما صنعه الآخر، وهذه العلاقة أسهمت في صنع النهاية.

ثانياً: **الأحداث**:

- الأحداث في القسم الأول -

أ. الأحداث العامة الكبرى:

١. (خرق القاضي للقانون)؛ وهو حدث ناتج إثر جهل القاضي بيوم البؤس وشرطه.

٢. (طلب القاضي الذهاب لتوديع أهله)؛ وهو حدث ناتج عن شعور بالمسؤولية تجاه الأسرة؛ إذ حان فراقها للأبد.

ب. الأحداث الخاصة الصغرى:

١. خروج الملك في أحد أيام بؤسه. (وهذا الحدث هو سبب وقوع الأحداث الأخرى، فلولا رؤية الملك للقاضي على الصفة التي يستكرهها في هذا الخروج ما كانت الحكاية).

٢. لقاء الملك القاضي على الصفة التي يستكرهها. (ومن هنا تبدأ معاناة القاضي النفسية، وأحداث قصته مع الملك الظالم؛ وزاد على معاناته جهله بما اقترف حتى ترمقه عين السخط من الملك).

٣.الأمر بحبس القاضي. (وهذه بداية المعاناة الجسدية حيث الإقامة في السجن، وتحمل أهواله، وتطور واستمرار المعاناة النفسية بعد مقام التكريم بكونه قاضيًا جليلا، حيث يؤمر بحبسه بعد أن كان يقضي بحبس المسيء).

٤. إعلامه بالأمر. (وتلك المفاجأة الأخرى حين يدرك أن نفسه ستزهق ظلمًا، وإرضاءً لهوى الملك، غير أنه يقابل الصدمة بالحمد، والرضا بالقدر).

٥.طلبه تخلية سبيله لتوديع أهله. (وهو حدث دافعه ذاتي عاطفي اجتماعي، فيه شعور بالمسؤولية تجاه من يحبهم، ويعولهم).

٦. إحضاره في مجلس الملك. (وهذا الحدث ربما كان مراد الملك فيه قطع سبيل تحقيق رغبة القاضي بعدم وجود الضامن، فهو يريد بيان ذلك له حتى يمعن في إيذائه).

٧.طلب الضامن. (وهو حدث بيّته الملك عند طلبه إحضار القاضي).

٨.نظر القاضي في الحاضرين. (وهو حدث مشحون بالاستعطاف واستثارة النخوة، وهو سلوك إنساني مثير للشفقة، وتحريك الاستجابة).

٩. مد يده إلى رجل منهم. (وهذا الحدث مبني على فراسة القاضي، وثقته في استجابة هذا الرجل، وقد اختاره دون أن يسأله هل يضمنه أم لا، حتى يقطع عليه سبيل التردد والمراجعة، فالوقت حرج).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١٠.استجابة الضامن. (وهو حدث نبع من مشاعر خارجة عن نطاق الحذر، بل دفعها تيار الانتصار للقيم والفضائل العربية).

١١. نهوض المضمون إلى بلده وتوديع أهله والعودة عند تمام الوقت. (وهي أحداث مجملة أبرز ما فيها الحدث الأخير، وهو الذي يحمل معنى الوفاء بالوعد).

يلحظ في الأحداث تناميها التدريجي بين نقطتي الوقوع في ظلم الملك، والعودة للوفاء بالوعد في علاقة ترابط وانسجام تراكمي.

إشارات حضارية مستمدة من أحداث القسم الأول:

١.تسلط الملك وتعسفه بالرعية وفق أهوائه ونزواته الشخصية.

٢. صبر الرجل الممتلىء بالتجارب الحياتية، ورضاه بالقدر دليل أثر العلم والوعي.

٣. وجود الثقة بين الناس فلا يُعدَم الخير والمعروف.

٤. إدراك خطر التخاذل في ضياع القيم.

- الأحداث في القسم الآخر -

أ. الأحداث العامة الكبرى:

١. (العودة)؛ وهو ناتج عن أثر الأحداث الأخيرة في القسم الأول.

٢. (العفو)؛ وهو ناتج عن إعجاب الملك وتقديره للوفيين اللذين قدما حياتهما من أجل حياة الفضيلة.

ب. الأحداث الخاصة الصغرى:

١. الاستئذان للدخول على الملك؛ (وهو حدث يفصل الحدث الذي انتهى به القسم الأول).

٢. إحضارهما معًا؛ (وهذا الحدث بعثه عليه تعجبه من عودة القاضي ليلقى مصرعه، وقد أدرك الأمن).

٣. حواره معهما؛ (وهو حدث يريد الملك من خلاله تفسير تعجبه، وإشباع فضوله).

٤. العفو، ورفع ذلك اليوم؛ (وهو حدث انفعالي جاء على هيئة رد فعل لما سمعه من إجابات الرجلين، وكان الإعجاب أكبر من حجم هذه القضية؛ ليرفع بسببه ظلم هذا اليوم عن رعيته).

إشارات حضارية مستمدة من أحداث القسم الآخر:

١. تقدير أهل الوفاء، ودعاة الفضيلة.

٢. وجود لون من الحوار الصريح والشفافية من أجل الوصول للحقيقة.

٣. أثر الكلمة الطيبة في صنع وتقويم القرار.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثالثاً: الحوار:

- الحوار في القسم الأول -

يوجد في هذا القسم ثلاثة مستويات للحوار:

أ.حوار يفيد مجرد الإخبار؛ وهو ما كان بين المخبر الذي ربما يكون الملك أو غيره، والقاضي السجين، ونتيجة هذا الحوار هي الرضا والقبول، والتسليم للقدر مع شدة الموقف.

ب.حوار كتابي؛ وهو من طرف واحد؛ وهو كتابة القاضي السجين في استعطاف طلب التخلية للتوديع، وكانت نتيجته إحضاره عند الملك لاختيار الضامن.

ج.حوار الاختيار؛ وهو ما دار بين الملك والقاضي والرجل الضامن، وظهرت في هذا الحوار دلالات متعددة أبرزها:

١.(حديث الملك): استأثر الملك بغالب الحوار لحديثه مع طرفي الضمان، وهو حديث بدا عليه التحدي والاستحالة بسبب الشرط الذي يجب أن تقدم الحياة ثمنًا لتحقيقه، ثم تلون بالاستنكار والتهديد حين فوجئ بالاستجابة الضامنة من أحد جلسائه.

٢. (حديث القاضي المضمون): كان جملة واحدة هي: (هذا يضمنني)، وهذه الجملة مشحونة بالثقة والرجاء، ولذا نالت مرادها، فاستخدام اسم الإشارة (هذا) يمثل حصارًا عاطفيًّا إنسانيًّا للضامن، واستخدام المضارع (يضمنني) مؤشر يستدعي الاستمرارية في الضمان، وما سيستغرقه من وقت حتى يعود، واتصال ياء المتكلم قفلة استعطاف، ولفت انتباه للضامن لحرج موقف المضمون، وأمله فيه.

٣. (حديث الرجل الضامن)؛ وهو كلمة واحدة (نعم)، لكنها حملت كل معاني المثالية، والتميز النوعي للنفس السامية بأخلاقها في وقت الشدائد حيث المغامرة بالحياة، والدخول في تحد مع إرادة الملك التي ربما قرأ ملامحها في وجهه وأوحت باستحالة وجود الضامن.

- الحوار في القسم الآخر -

يوجد في هذا القسم حوار ثريّ واحد بين أبطال الحكاية الثلاثة:

وهذا الحوار هو الذي صنع نهاية الحكاية، فقدم الفائدة على المستوى الفني للحكاية، وعلى المستوى الموضوعي من حيث النتيجة العادلة التي أفرزها، ولتحليل هذا الحوار نقف مع حديث الشخصيات:

١. (حديث الملك)؛ تحول حديث الملك في هذا القسم تبعًا لتحول شخصيته، فكان فيه مرنًا، حمله الإعجاب على إثارة هذا الحوار، والعجيب أن سؤاله الأول كان موجهًا إلى الضامن، مع أن عودة المضمون هي مثار الإعجاب، ولكن ربما أنها حاجة في نفسه كانت تحتاج تفسيرًا منذ الحوار الأول، وأراد تأجيل السؤال عنها إلى حين ينقطع الرجاء – حسب ظنه – في عودة المضمون، فيتخذ السؤال وسيلة لوم وسخرية، فكان سؤاله الأول في هذا الحوار أقرب إلى فكره ولسانه، وتضمن سؤاله تعجبًا، وطلب تعليل يفسر قبول الضامن لهذه الطلب الحرج، المحفوف بالمخاطرة بالنفس، فماذا لو تأخر المضمون قليلاً لسبق السيف العذل.

ثم تحول الملك إلى القاضي المضمون، وفي سؤاله نفس التعجب حيث ظفر القاضي بالخلاص من جلل الموت، ولكنه عاد ليتعلق بقدره من جديد، ومع أن الملك يفتقد الشعور بحرمة حياة النفس، إلا أن مشاعره حملته على

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التأمل في فلسفة (الحياة/والموت)، وسبر أغوار تلك النفوس السامية، وما تحمله من فضائل يمكن أن يضحى لأجل بقائها بالروح، وليس لأجل إرضاء غرور النفس كما يصنع هو.

ثم جاء حديثه الأخير مقتفيًا أثر حديثي طرفي الضمان في صياغته وأسلوبه لفظًا ومعنى متجهًا نحو إيجابية الموقف، غير أنه يقسم هذه المرة، والقَسَمُ هنا دليل انفعال ومواجهة وصراع مع النفس المزهوة، ونجده أيضًا يقول (أخاف)، وهي صورة نفسية تدل على التحول العاطفي في شخصية الملك، فكيف لتلك النفس المغترة بملكها أن تخاف! أو تعرف الخوف، وأخيرًا نطق بالحكم العادل الذي هو ثمرة الحوار، بتحقيق العفو عن الضامن والمضمون، وليشمل الرعية برفع هذا اليوم البائس.

٢. (حديث الضامن)؛ في حوار القسم الأول كان حديثه مختزلاً في قوله (نعم)، ووراء هذا الإجابة وعي وإدراك لحقيقة ما أقدم عليه، وضحه في هذا الحوار، وهو شعوره بمسؤولية الموقف سواء أمام هذا القاضي المستضعف، أم أمام مبادئه وقيمه التي يحملها، واستطاع في برهة من الوقت أن يتخذ الموقف الرجولي فلا يخذل القاضي، ولا يكون سببًا في جري سنة سيئة يذهب من خلالها الكرم بين الناس، فتضيع هذه القيمة الإنسانية من قاموس الفضائل.

٣. (حديث المضمون)؛ هو شعور أيضًا بالمسئولية من حين قبول الضامن حيث وضع نفسه في مكان الثقة منه، ومع إدراكه للأمن إلا أنه لم يقبل أن يظل حيًّا في مكان الغدر من نفس الضامن، وعلى مستوى القيم كانت خشيته أيضًا كخشية الضامن، فلو نجا بغدره سنّ سنة سيئة، فيذهب الوفاء من علاقات الناس.

رابعاً: الزمان:

الزمن في الحكاية بمفهومه السردي كما يرى جيرار جينيت ((هو زمن رئيسي يقوم مقام زمن حقيقي))[١]، ويتحدد زمن وقوع الحكاية وفق ما ذكره المحقق نقلاً عن مصادر الحكاية، فيكون وقوعها في زمن النعمان بن المنذر المكنى بأبي قابوس، وأما زمن التدوين فهو متحدد بكتابة علي بن هذيل لهذا النص، وتضمينه كتابه، و لاشك أن هناك بعد بين زمني الحكاية وتدوينها في هذا المؤلف مما يشير إلى وجود روايات متعددة لها.

أما عن زمن أفعال السياق نحويًّا، ودلالتها: فهناك حضور واضح للأفعال في صيغتي الماضي والحاضر، وإن كان أكثرها –وبنسبة قليلة– من صيغة الماضي ومنها: (كان، خرج، لقي، أمر، أعلم، كتب، نظر، وافق، رجع، ذهب، وثق...)، ووردت بعض الأفعال بصيغتي الماضي والحاضر:(كان/يكون – يكن، ودع / يودع، أوصى / يوصي)، كما يلحظ وجود الأفعال المبنية للمجهول، ومن ذلك: (ذُكر): لبيان تعدد الروايات، أو لجهل الراوي، (يُقال): وهي نظرة إلى الزمن المستقبل الذي سيقال فيه.

وكون الزمن في صورته الماضية هو الغالب، ذلك أن القاص سلك مسلك الإخبار عن الحكاية مما يقتضي استخدامه صيغ الزمن الماضي، ولكن حينما يعيش السارد أحداث الحكاية، ويدخل في حوارها يتحول الزمن إلى الحاضر والمستقبل.

---

(١) خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، جيرار جنيت، ترجمة محمد معتصم وعبدالجليل الأزدي وعمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ١٩٩٧م، ص٤٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إشارات زمنية من دلالات بعض ألفاظ الحكاية:

- الإشارات الزمنية في القسم الأول -

١.(يوم بؤس)؛ إضافة اليوم إلى صفة البؤس من إضافة الزمن إلى المعنويات، وهو تشخيص بتحويل اليوم شخصًا بائسًا له طبيعته التي انعكست سلبًا على الرعية، وبخاصة على القاضي، والرجل الضامن، وهذا الزمن كان ظرفَ الحدث الأساس لانبثاق الحكاية.

٢.(حبسه أيامًا)؛ هذه الأيام متعلقة بحال سيئة وهو الحبس، وجاءت الأيام نكرة، لعدم اكتراث السارد بقيمة الزمن في النص، وربما لعدم معرفته وتقديره لها، وهذا الزمن كان ظرفًا لحياة عصيبة في السجن، عاشها أحد أفراد الرعية وهو القاضي يقلب فيها أمره وأمر أسرته بعده.

٣.(خرج يومًا)؛ وهو يوم وإن كان جاء في صياغته النحوية نكرة، إلا أنه أحد أيام البؤس في سنة الملك، وهذا الزمن هو ظرف حدث وقوع القاضي في دائرة سخط الملك.

٤.(تلك الأيام)؛ وهي إشارة زمنية توضح صفة هذا اليوم بأنه أحد أيام البؤس، ويبدو من خلال الجمع أنها مرت بظلمها على الرعية كثيرًا، فجاءت معرفة أيضًا بأل.

٥.(قرب الأمر)؛ وهي إشارة زمنية مختلطة بالشعور النفسي، حيث قرب منتهى المصير، وصراع العواطف والمشاعر تجاه من سيخلفهم القاضي بعده من أسرة، فهذا الزمن هو الذي هيأ لظهور أحد أبرز أحداث الحكاية وهو طلب تخلية سبيله للتوديع.

٦. (وافق وقت تمام المدة)، وهنا دلالة على استيفاء زمن الحدث المراد تحقيقه، وهو العودة في الوقت المحدد استجابة لأمر الملك، ووفاءً لحق الضامن.

- **الإشارة الزمنية في القسم الآخر** -

(رفع ذلك اليوم)، وهنا إشارة زمنية إيجابية، مع أن اليوم المقصود هو يوم البؤس، إلا أن الفعل (رفع) نقله من البؤس إلى وضعه الطبيعي كسائر الأيام التي يسودها العدل.

ملامح عامة حول الزمان:

يبدو نمو الزمن في الحكاية بطريقة تكديسية عبر تحول وإنتاج أحداث وأفعال جديدة، فهو لا يستفيد من الزمان بتحديده ومعرفة قيمته، فاستهلاكه للزمن تجميعي دون تحكم فيه، فالحكاية تخلو من توزيع عادل بين (الزمان، والمكان، والأفعال)، وربما يكون وراء ذلك الاشتياق للعدالة الزمنية التي حرم منها الرعية في ذلك اليوم، كما نلحظ أن الزمن هنا مقيد بالمعنويات، فهو يذوب في أحداث الحكاية، ويوظف من أجل أفكارها.

كما يلحظ قلة الشخصيات والأحداث والإشارات الزمنية في القسم الآخر بالنسبة إلى الأول، وهذا دليل على أن القسم الأول هو صلب الحكاية، والآخر تفسير له.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خامساً: المكان:

دائمًا ما يخلق الفضاء المكاني نظامًا داخل النص، وإن بدا تصويرًا صادقًا لخارج النص، بمعنى أن دراسة الفضاء ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالآثار التشخيصية(١)، حيث يساعد الفضاء المكاني على تمكين سير الأحداث، وله وظيفة رمزية حين يطبع المكان بسمات خاصة تضفي على الشخصيات أبعادًا متمايزة، إلى جانب إسهامه في إثارة التخيل(٢)، وبحسب نوعية المجلس نتبين طبيعة الكلام والمتكلمين، وفي نطاقه يتبين الكلام العربي ببعده الاجتماعي والثقافي(٣).

- الإشارات المكانية في القسم الأول -

١.(يمينًا وشمالًا)؛ وهذه الإشارة ذات دلالة حضارية تصور مجلس الملك حيث يجلس الندماء عن اليمين والشمال، وفيها دلالة على كثرة العدد.

٢. (مكانه)؛ هذا المكان كما تشير أحداث الحكاية هو (الحبس)، وهو يشكل أحد أجزاء واقع القاضي المضمون، الذي يلزم – في قانون الملك – أن يعيشه الضامن.

٣. (بلده)؛ لم يحدد السارد اسمه، ولا موقعه، ولا قدر المسافة إليه، ولكن يبدو من السياق أنه بعيد عن مشهد الحكاية، والإشارة هنا دليل على الشعور بالمسؤولية تجاه الأسرة فيه، وهذا ما تعكسه شخصية القاضي.

---

(١) انظر: مقالة كولدنستين، الفضاء الروائي، جيرار جنيت وآخرون، ترجمة عبدالرحمن حزل، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٢م، ص١٩-٢٠.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٣٣.

(٣) انظر: الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي)، مصدر سابق، ص٢١٣.

- الإشارات المكانية في القسم الآخر -

(مكان الثقة / مكان الغدر)؛ جاءت الإشارات المكانية تلك بعيدة عن حقيقتها الأصلية، لتتحول إلى المجاز بإضافتها للمعنويات، فيصبح للثقة مكان، وللغدر مكان، وهذا المكان هو النفس والتاريخ.

ملمح عام حول المكان:

من خلال تحليل الحكاية نجد أن السارد أغفل دور المكان في النص، ونجد أن العلاقات بين ما أشار إليه من الأمكنة تعمل في خدمة الأحداث معنويًّا في غالبها، ولعلنا نلمس أثرًا للمكان في نفسية بطل الحكاية القاضي ذلك أنه كان يجهل قوانين بلد الملك فوقع في شرك الظلم، وفي حبسه أوحت له العزلة المظلمة وانتظار المصير المحتوم بضرورة اتخاذ قرار تجاه أسرته، وفي بلده بعد أن ذاق طعم الأمان فيه تأكدت لديه رغبة العودة خشية أن يفتقد صاحب الوفاء العيش والأمن الذي كان يعيشه.

سادساً: التناص:

جاء التناص في سياق الحكاية عبر عدة جوانب لها وظيفتها، وهي:

١. توظيف مصطلحات القيم والفضائل وأضدادها، ومنها: الكرم، والثقة، والغدر، والوفاء، والعفو، ومخالفة الظن، والسبب في توظيف هذه المصطلحات بيان قيمتها، وضرورة التعامل الواعي معها، وهي ركائز بواعث أحداث النص.

٢.توظيف النصوص: وقد ورد في القسم الآخر نص واحد وهو (سبق فيك السيف العذل)، وقد جاء على لسان الملك من باب اللوم والتعجب من مخاطرة الضامن في قبول الضمان، فلو فات الوقت لذهب ضحية استجابته.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

سابعاً: الثنائيات:

يلحظ في النص حضور مجموعة من الثنائيات يمكن أن تندرج كلها تحت الثنائية الكبرى وهي: (ثنائية الحياة/والموت) حيث صور الكاتب واقع الحكاية من خلال تعامل الشخصيات مع فلسفة (الحياة/والموت) بمستوييها الحسي والمعنوي، ويمكن الكشف عن هذه الثنائية من خلال عدة جوانب:

أ.الشخصيات: وذلك من خلال تعامل الشخصيات مع هذه الثنائية:

١. (الملك)؛ وتتأتى الثنائية في هذه الشخصية من الجانب المعنوي، ذلك أنه على المستوى الحسي يعيش في النص حياته دون المساس بأمنها، ولذلك فإنه في الجانب المعنوي تعني له الحياة في القسم الأول من النص/شعوره بالجبروت والغرور والزهو بالملك، والموت/ذهاب ملكه بذهاب هيبته وحزمه، وفي القسم الآخر بدت لديه الحياة/ تمثل شعوره بضرورة العدل ونشر الفضائل، والموت/غياب الشعور بالعدل، وممارسة الظلم والتعسف، وإفناء القيم السامية.

٢. (أحد من الرعية)؛ وتتأتى الثنائية في هذه الشخصية من الجانب الحسي والمعنوي، فأما على المستوى الحسي: فالحياة/بقاء النفس لم تزهق روحها، والموت/ فناؤها بسيف الملك، وفي الجانب المعنوي الحياة/ الشعور بأحقيتها في العيش دون ظلم، والموت/ الخوف والرهبة من بطش الملك في يوم بؤسه.

٣. (القاضي)؛ على المستوى الحسي الحياة/ الظفر بالعفو، الموت/ التسليم للمصير المحتوم، وعلى المستوى المعنوي الحياة/ الالتزام بالعهد

والوفاء، وبقاء فضيلة الوفاء، والموت/ نقض العهد، والغدر بالضامن، وضياع قيمة أساس في حياة المجتمع.

٤. (الحاضرون)؛ على المستوى الحسي الحياة/ المحافظة على حياتهم بالصمت صونًا لعلاقتهم بالملك لضمان الحياة، الموت/ مخالفة الملك والوقوع تحت حد سيفه، وعلى المستوى المعنوي الحياة/ العيش الرغيد في ظل رضا الملك ولو بالسكوت على ظلم الرعية، والموت/ فقدان العيش المنعم بمخالفة الملك.

٥. (الرجل الضامن)؛ على المستوى الحسي الحياة/ عودة المضمون من بلده ليفك من سجنه، وتعتق روحه، والموت/ عدم رجوع المضمون أو مجرد تأخره عن الوقت المحدد، وعلى المستوى المعنوي الحياة/ تحمل الثقة، والانتصار للمحتاج المضطر، وبقاء فضيلة الكرم، والموت/ مخالفة ظن الواثق به، وخذلانه في وقت الشدائد، والبخل بالنفس، وذهاب فضيلة مهمة تنبني عليها علاقات الناس في معيشتهم.

٦. (أهل القاضي المضمون)؛ على المستوى الحسي فقط كما بدا في النص الحياة/ بقاء معيلهم حيًّا، والموت/ فناؤه بسيف الملك.

ب. الأحداث:

١. الحياة / (الخروج دون وجود الصفة المستكرهة)، الموت/ (الخروج بالصفة المستكرهة).

٢. الحياة / (تحقيق رغبة توديع الأهل)، الموت/ (انقطاع الرجاء في تحقيق الأمنية).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣. الحياة / (استقرار القاضي في بلده، وعـدم رجوعـه)، المـوت/ (العودة للقاء مصيره).

٤. الحياة / (العفو، ورفع الظلم)، الموت (وقوع القتل، وبقاء الظلم).

ج. الفضاءات المكانية:

١. (مكانه – الحبس)؛ الحياة/ الفكاك منه، الموت/ بقاؤه فيه إلى حين وقت الحكم.

٢. (بلده)؛ الحياة / العيش فيه باطمئنان، الموت/ الخروج منه.

د. الفضاءات الزمانية:

١. (يوم بؤس)؛ الحياة/ الخروج فيه دون الصفة المستكرهة، الموت/ الخروج بتلك الصفة.

٢. (حبسه أيامًا)؛ الحياة/ طول مدتها حتى يحين موعد الحكم أملاً في العفو، الموت/ انتظار الجلاد كل لحظة مع قرب المدة.

وإلى جانب الثنائية الكبرى نلمح ثنائيات جزئية داخل بنية النص تدور في فلك الثنائية الكبرى، ومنها:

(البؤس/البهجة)، (الحب/الكره)، (العدل/الظلم)، (العلم/الجهل)، (الرضا بالقدر/الجزع)، (الحرية/السجن)،(حسن الظن/الخذلان)، (الضمان/التخلـي)، (الكرم/البخل)،(الخلاص/التنشب)،(التجمل–الخوف/اللامبالاة)، (الثقة/الغدر)، (الوفاء/الخيانة)، (العفو/البقاء على الحكم الأول وإنفاذه).

الخاتمة:

وبعد هذه الجولة في ثنايا الحكاية التراثية يتكشف للمتأمل ثراء مدوناتنا السردية العربية دلاليًّا وفنيًّا، حيث تبين كيف تشكلت وعبرت أصدق تعبير عن هويتنا الثقافية العربية، وكشفت عن جوانب غاية في الأهمية من الحياة الاجتماعية والقيمية بكل أبعادها وتناقضاتها، وأثبتت بعد مخاض نقدي تاريخي طويل قدرتها على الحضور العميق والمؤثر في الخطاب النقدي رغم تداعيات سياقها الشفاهي المتغير، وحلقت بجمالياتها عبر أدوات نقدية في صورة مقاربات ورؤى جديدة للنص التراثي من زوايا ربما لم تنل حقها في الدراسات السابقة، وربما أيضًا فتحت آفاقًا جديدةً لدراسات واعدة تكشف عن مكنونات دلالية أو فنية في تراثنا الأدبي العربي الثري، كما توضح خطها السردي، وانتماؤها لعناصر الحكاية بأحداثها، وشخصياتها، وحواراتها، وفضاءاتها الزمانية والمكانية، وتجلت في ضوء دراساتها أبرز مميزاتها وجمالياتها الفنية والدلالية، وقدرتها على التمحور في فلك الثنائيات الضدية، وتقديم الإشارات الحضارية الغنية بروح المجتمع العربي الجاهلي.

وفي الدراسة التحليلية تبين أن ثنائية (الحياة/والموت) الضدية لم ترد بشكل إرادي، بل صدرت عن تمحور قيمي أخلاقي نابع من طبيعة الحياة العربية، كشف عن وعي العربي الجاهلي بجوهر الصراع في الحياة، وأكدت الدراسة القيمة الوظيفية التوليدية والحركية التبادلية التي أدتها ثنائياتها الضدية بشكل عام في بنية النص، وثنائية (الحياة/والموت) بشكل خاص، وظهرت مستوياتها المتباينة في أحداث القصة، وشخصياتها، ومستويات حواراتها الثلاثة، وفضاءاتها الزمانية والمكانية، حيث عكست تأثيرها الوظيفي في عمقها البنائي الدلالي والفني، والحمد لله رب العالمين أولا وآخرًا على ما تفضل به من توفيق، وصلى الله على حبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأدب والارتياب، لعبدالفتاح كيليطو، دار توبقال، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠١٣م.
- أسرار البلاغة في علم البيان، للإمام أبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق الدكتور عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ(٢٠٠١م).
- أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، للدكتور شلتاغ عبود، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
- بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفة، للدكتور محمد بركات أبو علي، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.
- بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي، للدكتور محمد عبدالمطلب، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٥م.
- البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، لميساء سليمان الإبراهيم، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١م.
- بنية القصيدة في شعر عز الدين المناصرة، للدكتور فيصل صالح القصيري، دار مجد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.
- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، للدكتور حميد لحميداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٠م.
- التراث القصصي في الأدب العربي (مقاربات سوسيو سردية)، لمحمد رجب النجار، دار السلاسل، الكويت، المجلد الأول، ط١، ١٩٩٥م.

- تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، لعبدالناصر هلال، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
- جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، لخيرة حمر العين، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٦م.
- جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر، للدكتور كمال أبوديب، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
- خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، جيرار جنيت، ترجمة محمد معتصم وعبدالجليل الأزدي وعمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ١٩٩٧م.
- دينامية النص تنظير وإيجاز، للدكتور محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٠م.
- الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، للدكتور كمال أبوديب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
- السميائيات السردية: مدخل نظري، لسعيد بنكراد، منشورات الزمن، الرباط، ٢٠٠١م.
- ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، دراسة بلاغية نقدية، لمحمد الواسطي، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، ط١، ٢٠٠٣م.
- العصر الجاهلي – تاريخ الأدب العربي، للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط١١.
- الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام، للدكتور ناجي التكريتي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- فن الأدب والمحاكاة، للدكتورة سهير القلماوي، دار الثقافة، القاهرة، د.ط،١٩٧٣م.
- فن القص بين النظرية والتطبيق، للدكتورة نبيلة إبراهيم، مكتبة غريب، القاهرة، د.ت.
- الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، للدكتور ركان الصفدي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١١م.
- في الشعرية، للدكتور كمال أبوديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٧م.
- قال الراوي – البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، للدكتور سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧م.
- قصص العرب، تأليف محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البيجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، ط٤، عام ١٤٨١هـ (١٩٦٢م).
- كلام الله الجانب الشفاهي من الظاهرة القرآنية، للدكتور محمد كريم الكواز، دار الساقي، بيروت، ط١ ،٢٠٠٢م.
- الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي)، للدكتور سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧م.
- المحاسن والأضداد لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحقيق محمد سويد، دار إحياء العلوم، بيروت،ط١، ١٤١٢هـ (١٩٩١م).

- المحاسن والمساوىء لإبراهيم بن محمد البيهقي (ت٣٢٠هـ)، تحقيق محمد سويد، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- محاضرات في القصص في أدب العرب ماضيه وحاضره، لمحمود تيمور، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٥٨م.
- المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد أحمد الأبشيهي (ت٨٥٠هـ)، شرح وتحقيق د.مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م).
- مشكلة الإنسان، للدكتور زكريا إبراهيم، مكتبة النصر، القاهرة، د.ت.ط.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب، مجدي وهبة وكمال المهندس، ط٢، ١٩٨٦م.
- مفهوم الأدب، تزفيتان تدوروف، ترجمة محمد منذر العياشي، دار الذاكرة، حمص، ط٢، ١٩٩٠م.
- مقالات الأدباء ومناظرات النجباء لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل، تحقيق الدكتور عبدالرحمن بن عثمان الهليل، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م).
- مقالة كولدنستين، الفضاء الروائي، جيرار جنيت وآخرون، ترجمة عبدالرحمن حزل، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٢م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم بن محمد القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط٣، ٢٠٠٨م.
- الموت والعبقرية، عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ١٩٧٥م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- موسوعة السرد، عبدالله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٥م.
- النثر الفني في القرن الرابع، للدكتور زكي مبارك، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ٢٠١٣م.
- نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، مجموعة من الباحثين السوفيت، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث السردية، ط١، ١٩٨٢م.

الرسائل الجامعية:

- الأنظمة السيميائية في السرد العربي القديم، لهيثم سرحان، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٥م.
- الحياة والموت في شعر صعاليك العصر الجاهلي، لعلي الثوابية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، ٢٠١٢م.
- الزمن في الشعر الجاهلي، لعبدالعزيز طشطوش، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، ١٩٨٣م.
- السرد العربي القديم: دراسات في الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، لضياء الكعبي، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤م.
- قصص الحيوان جنسًا أدبيًّا – دراسة سردية سيميائية في الأدب المقارن، لخالد سهر الساعدي، رسالة دكتوراه، جامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٩٩٩م.

الدراسات العلمية:

- ثقافة الأطفال، للدكتور هادي نعمان الهيتي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد١٢٣، مارس/آذار ١٩٨٨م.
- ثنائيات التضاد الدلالي في صورة الشهيد: دراسة في الشعر الفلسطيني المعاصر، للدكتور أسامة عزت أبوسلطان، بحث، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، مصر، ع١٥، ج٤، ٢٠١٤م.
- الثنائيات الضدية في قصيدة ابن زريق الفراقية، للدكتورة نهى كندوح، بحث، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، كلية الإمارات للعلوم التربوية، مارس ٢٠١٨م.
- الثنائيات الضدية في لغة النص الأدبي بين التوظيف الفني والذوق الجمالي، لزيتونة مسعود علي، بحث، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، عدد٧، ٢٠١٥م.
- جدلية التفاعل في السرد التراثي العربي: عبدالفتاح كيليطو نموذجًا، للدكتور عبدالرحمن محمد التمارة، أوراق المؤتمر الدولي: مسالك الكتابة وآفاق التلقي في اللغة والأدب والحضارة، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٦م.
- الحكاية الشعبية بين الشفهية والتدوين والتهذيب، للدكتورة حصة سيد الرفاعي، بحث، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، مج٢٧، عدد١٠٧، ٢٠٠٩م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- الحكاية الشعبية في الخيال الشعري، للدكتور علي كمال الدين الفهادي، مجلة دراسات موصلية، مركز دراسات الموصل، العراق، عدد٢٦، ٢٠٠٩م.
- السرد الشعبي في التراث العربي التشكل والأنواع، لمنصور بويش، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، عدد١٥، ٢٠١٥م.
- السرد العربي القديم: من الهامش إلى المركز، للدكتور محمد عبيدالله، بحث، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، دمشق، مج ٢٥، ع٩٨، ٢٠٠٧م.
- شعرنا القديم والنقد الجديد، للدكتور وهب رومية، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٠٧، الكويت، آذار ١٩٩٦م.
- الشفاهية والكتابية، والترج.أونج: ، ترجمة د.حسن البنا عز الدين، مراجعة د.محمد عصفور، سلسلة كتب ثقافية، عالم المعرفة، عدد١٨٢، فبراير ١٩٩٤م.
- علاقات التضاد في شعر البحتري، للدكتورة وسن عبدالمنعم ياسين، بحث، مجلة المجمع العلمي، بغداد، ج٤، م٥٥، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م).
- فلسفة الحياة والموت بين الأساطير والفنون: رؤية باشلارية، للدكتورة غادة الإمام، بحث، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج٧٠، ج٤، ٢٠١٠م.
- قلق الموت، للدكتور أحمد محمد عبدالخالق، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد١١١، ١٩٨٧م.
- مصطلح الثنائيات الضدية في الفلسفة والنقد الغربيين، للدكتورة سمر الديوب، بحث، الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٨م.

- النزعة القصصية في الأدب العربي حتى القرن الرابع الهجري (دراسة في النشأة والتطور والموقف النقدي من القص)، لمحمد خير شيخ موسى، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ٢٠٠٦م.
- النقد السميائي للسرد العربي القديم (القراءة النقدية حول نصوص من كليلة ودمنة)، للدكتورة آراء عابد الجرماني، بحث، اتحاد الكتاب العرب، عدد ١٣٠-١٣١، خريف ٢٠١٣م.

المقالات:

- ثنائية الحياة والموت "خِطاب الموتى"، محمود خليل، مقال، موقع التنوير، مؤسسة رسالة السلام، www.elwatannews.com، ١٠ فبراير، ٢٠١٩.
- الحكاية الشعبية أهمّيتها، عناصرها ووظائفها، أحمد رشدي صالح، مقال، مجلة الحوار، أربيل، كردستان، العراق، www.alhiwarmagazine.blogspot.com ، الاثنين ٢ نوفمبر ٢٠١٥م.
- خطاب الموت في الشعر الجاهلي، أحمد الحسين، مقال، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، www.nizwa.com، ١ أبريل، ١٩٩٧م،
- القصة في العصر الجاهلي، إبراهيم عوض، مقالة، شبكة الألوكة الأدبية واللغوية، www.alukah.net ، ٣٠-٨-٢٠١٧م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١.	ملخص	٣٧٥٣
٢.	Abstract	٣٧٥٤
٣.	مقدمة:	٣٧٥٥
٤.	المبحث الأول: الحكاية التراثية وتشكلها في إطار الثنائيات. (ثنائية الحياة والموت أنموذجاً).	٣٧٥٧
٥.	المبحث الثاني: دراسة تحليلية لأنموذج حكائي تراثي من مرويات ابن هذيل.	٣٧٧٨
٦.	الخاتمة	٣٨٠٣
٧.	المصادر والمراجع	٣٨٠٤
٨.	فهرس الموضوعات	٣٨١٢

تم بحمد الله